

تفسیر

سُورَةُ الْوَاقِعَاتِ



- عنوان الكتاب: بذور الرشد، تفسير سورة الواقعة
- اسم المؤلف: د. محمد باباعمي
- الطبعة الأولى: 1440 هـ - 2018 م
- مقاس الكتاب: 125 × 190
- عدد الصفحات: 168
- ردمك: 978-9931-9466-8-7 ISBN
- الإيداع القانوني: السادس الثاني، 2018.

محموظية
جميع الحقوق

Copyright © 2018 Kitabook



Kitabook.net





تفسير

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

محمد باباعمي



بنيّة العمل

لا يعنيني في شيءٍ أن أفسّر القرآن الكريم، فقد فسّره علماء كرام؛
ولكنني أحيا به ومعهم، ثم أتخذُه منطلقاً لفكري، وصبغةً لفعلي...
في رحلة العمر، وقد جاوزت الخمسين حِجّةً؛
وهي مرحلة لا أرجو معها ولا بعدها إلا معية الله **جَلَّ جَلَالُهُ**،
وصحبة كلامه، وكنف رحمته ورضاه؛
أسأله سبحانه صلاح أمر أمّتي، وأن يفرج عنها،
ويظهر دينه على سائر الأديان،
وأدعوه أن يصحح بكلامه الحكيم انحراف البشرية
الفكري والثقافي والحضاري،
وأن يسخرنا في إطار «نموذج الرشد»،
وبالاستعانة بـ«بذور الرشد»، لهذا السبيل،
أشهدُ الله أن ليس لي في الدنيا أمنية، إلا أن يجتمع عدد من العلماء،
فيجتهدون في علوم القرآن والتفسير، وعلوم المعنى والتنزيل؛ بعقل
جمعيّ، داخل مراكز بحثية دائمة؛ تنفق فيها أموال أثرياء الأمة،
وتسخر لها سلطة تحميها، وتجند لها سواعد وعقول
خيرة علماء هذه الأمة...
لنحقق بذلك نقلة حضارية توحيدية، نبتغي ذخرها عند الله تعالى
وما بين يدي القارئ الحبيب هو صورة لهذا المعنى،
وهو ظل لتلك النية، في انتظار تحقيق المطلوب، وبلوغ المرغوب
اللَّهُمَّ فاشهد، وبلغ المقصود



فريق العمل

- الأمانة والتنسيق: أ. جابر ناصر بوحجّام
- الإشراف الفني: أ. جابر موسى باباعمي
- التصميم والتنفيذ الفني: أ. ياسين بوشارب
- متابعة النشر والطباعة: أ. محمد الحاج سعيد
- المراجعون: د. طه كوزي
- أ. علي حموده
- أ. جابر ناصر بوحجّام
- أ. جابر موسى باباعمي



مقاصد تفسير الرشدا

- تحبيب كلام الله تعالى للناس بعامّة، وللناشئة والشباب بخاصّة.
- عرضُ التفسير في صورةٍ غير منقّرة لمن لم يألف مطالعة المجلدات.
- الوصول بكلام الله تعالى في حياتنا اليومية إلى حال التمثُّل والتناغم، بعيدا عن حال التكلف والانفصام.
- الخروج من دائرة الاختلاف في الأصول وتخطئة الآخر؛ إلى سعة المعاني المتفق عليها، والتي تمثل أصل الدين ولبه؛ مع اعتبار الأوجه التي تؤشر إلى رحابة الدين، والتي تمثل الفروع، الجائز الاختلاف فيها.
- اعتماد مصادر التفسير كلّها: من سنة نبوية، وآثارٍ عن الصحابة، وأقوال للتابعين، وتفسير من بعدهم عبر القرون؛ بعيدا عن جفاء القطيعة.
- الإسهام في تحذير الناس من الجرأة على كلام الله، والتقول على الله تعالى بما لم يقل.
- اعتبار اللغة مصدرا أساسًا لفهم الآية القرآنية؛ لكنه غير كافٍ لوحده.

- توظيف الجملة وحدة معيارية للفهم بديلا عن النص المسترسل الطويل؛ وذلك استفادة من منهج القرآن الكريم في اتخاذه الآية وحدة معيارية لبنية المعنى.
- استثارة العمل بعد فهم الآية القرآنية، ذلك أنّ الغرض من كلام تعالى هو «الامتثال والتمثل» لا مجرد الحفظ والأداء والفهم.
- الدعوة إلى أعمال العقل الجماعي في إنجاز مشاريع لا حصر لها، من مداخل معرفية متجاوزة للتخصص، في فهم كلام الله تعالى.
- الدفاع عن الفهم المطيافي، الذي أسسنا له منذ عقدين من الزمان «المبني على اعتماد الموشور المعرفي، المكوّن من عقول متباينة، وتخصّصات مختلفة، وحالات ونماذج معرفية متعددة... للوصول إلى فهم ديناميكي حركي للآية القرآنية».
- تحريك مراحل تحويل المعلومة إلى سلوك، من خلال بذور الرشد: السؤال، الافتراض، الرؤية الكونية، القاعدة الكلية، الصورة الإدراكية، مخطط الفعل، الفعل الحضاري.



على أعتاب سورة الفنى

❏ الأدلة الثلاثة: دليل الخلق، ودليل الرزق، ودليل الفناء:

منهج الاستدلال على وجود الله تعالى، وعلى أحديته وفردانيته وصدانيتها، وعلى كمال صفاته وعظمة شأنه؛ هو مما درج القرآن على التفنن فيه، فلم يلتزم منهجاً واحداً، ولم يقتصر على أسلوب واحد؛ لكنه عدّد الأدلة، وعدّد طرق عرضها معرفياً؛ مراعيًا في ذلك تباين المدارك، واختلاف العقول، وتنوع المخاطبين؛ ومن أبرز الأدلة في سورة الواقعة ثلاثة أضرب من الأدلة: دليل الخلق، ودليل الرزق، ودليل الفناء.

فكما أنّ الناس يوم القيامة سيكونون أزواجا ثلاثة: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (*)؛ فإنّ الأدلة التي تنصب لهم أو عليهم ستكون أضرباً ثلاثة، ويمكن ردها إلى تقسيمات وتفريعات أخرى؛ ولكننا نكتفي بهذا المستوى، وبهذا الفلك، ونحن بين يدي سورة الفنى ﴿الْوَاقِعَةُ﴾؛ مستدعين العقول الجبارة

(*) الرواية المعتمدة في التفسير هي (رواية ورش عن نافع)، لكن الرسم (برواية حفص)، لإشكال تقني، يستدرك لاحقاً.

إلى التوسع أكثر، بما يفيد العلم في جميع مجالاته.

1. دليل الخلق، أو الإيجاد من عدم:

يخاطب الله تعالى المكذبين بتقرير كونيّ، ثم بسؤال تعجيزي يحمل معنى التحضيض؛ أمّا التقرير فهو: ﴿فَخُنُّ خَلَقْتَكُمْ﴾، ولقد ترك لهم فرصة التحدي والادعاء، فلو وُجد خالق آخر غيره، ثم علم بالمدعى التي أعلنت من الله سبحانه، ومع ذلك لم يتحرك، ولم يستنكر، ولم يفند الادعاء؛ فلا ريب أنّ العقول الراجحة ترفض أن تعتبره إلهًا وخالقًا، فهو أخطأ دركة من مخلوق ضعيف مهين.

ثم جاء السؤال بصيغة التحضيض: ﴿فَلَوْلَا نُصَدِّقُونَ﴾ أي فهل صدقتم؟ وهل تملكون أن تكذبوا؟ وإن كان لكم من حجة علينا فهل أخرجتموها؟ ولم يعرف التاريخ كافرا، ولا مشركا، ولا جاحدا، ولا مدعى للألوهية نسب لنفسه الخلق، وقال: أنا أخلق، أو أنا خلقت. وإنما ينسبون الخلق إلى «عالم الغيب»، وإلى «عالم الأصنام»؛ لئلا يكون غيبهم هذا محلّ مساءلة ومراجعة؛ وبهذه الحيلة الملتوية أخرجوا خالقهم، ثم جعلوه أصمّ أبكم، حتى لا يكون هذا الخالق المدعى في موقع الجدل، فسلموا منه التفكير، والعلم، والكلام، والبيان؛ قال سيدنا إبراهيم

عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ آزَرَ: ﴿يَتَابَت لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾.

وليتَ المشركين كانوا على علمٍ بالهتَم، فهم أجهل الناس بها، وأعلم الناس أنهم جاهلون بها؛ ويصدق هذا الدحض بخاصّة على الذين نسبوا الخلق «للطبيعة» أو «للصدفة»؛ والحال أنهم يجهلون آلهتهم التي يعبدون، وهم يدعون صلفاً وكذباً العلم بها؛ قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

ولم يتوقف الحجاج في سورة الواقعة عند الخلق الأوّل، بل تجاوزه إلى «خلقٍ مستمر» ولا يزال، إلى يوم القيامة؛ فالله تعالى يقول لهم: ما دمتم لم تحضروا الخلق الأوّل، فإنني من ظهوركم، ومن أرحامكم، سأُنصب لكم دليلاً متكرراً ممتداً إلى يوم القيامة؛ فأتحداكم بـ«المني» الذي يمينه الرجل، فتستقبله المرأة، ثم يتشكل جنينا، وهو في عُرفكم «ماءٌ مهينٌ»: فهل تخلقونه أنتم؟ أم تدعون أنّ أحداً غير الله يخلقه؟ أم أنّ الذي خلقه هو الله العليم القدير؟ وتكرّر دليل خلق كلّ شيء ابتداءً، ثم خلقه استمراراً: خلق الزرع، وخلق الماء، وخلق النار، وخلق النجوم، وخلق القرآن... وخلق الإنسان نفسه ثم إماتته، ثم إحياءه

مرّة أخرى؛ والأمر صادق على جميع المخلوقات، من السماوات والأرض إلى الإنس والجان، وإلى الذرات والحشرات... جميعها من خلق الله تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ .

2. دليل الرزق، أو دليل الصيانة والبقاء:

بعد خلق المخلوقات من عدم، لا تنتهي المهمة، ولا يسلم الخالق الأمر إلى غيره لصيانة ما خلق، ولضمان بقاءه؛ ولذا كان دليل الرزق سندًا وامتدادًا لدليل الخلق؛ فإن لم ينظر الإنسان إلى حقيقة خلقه، وإلى ما يقع حين تحوُّله، أو إلى تحوُّل أيِّ مخلوق آخر، من حال العدم إلى حال الوجود؛ إن لم ينظر إلى ذلك، وإن استحال عليه ذلك؛ فإنه في كل آن يُعاين يدًا وقدرةً تتدخل لصيانة المخلوق، وتعمل على بقاءه، إلى أن ينزل عليه سببٌ من أسباب الفناء.

والحقُّ أن مبدأ «القصور في الطاقة» (الأنثروبي)، المستندة إلى القانون الثاني للديناميكية الحرارية، والذي هو النقطة الحاسمة لتعريف الحياة، يفتح المجال واسعًا لفهم وإدراك دليل الصيانة والبقاء.

يقول علي عزت بيجوفيتش: «جميع قوانين الطبيعة



ترجع إلى «القصور في الطاقة»، والتي تعني التشوش العام، الحالة المطلقة للاتساق الخامد. وعلى عكس ذلك، نجد أنَّ الخاصية الرئيسة للكائن الحي هي حالة «اللانتروبي» (ضد القصور في الطاقة)؛ قدرة الكائن المركب على خلق المركب من البسيط، النظام من الفوضى، والاحتفاظ بالنظام ولو مؤقتا، في أعلى مستويات الطاقة».

لا ريبَ أنَّ هذا القانون ينفي أن يكون الكون «نظاما مغلقا»، ويفترض بالضرورة وجود قوة، وقدرة، فوق الكون، وأكبر منه، بيدها التحكم والصيانة، وضمان البقاء الماديِّ الفيزيائي؛ وإلاَّ لانتهى هذا الكون إلى حالة سُكونية، ولفني بالتبع.

ولتبسيط الدليل نقول: لو تركت مزرعة آلاف السنين، بلا «تدخُّل خارجيِّ» من الحارث أولا، ثم من الزارع ثانيا؛ فإنها ستؤول إلى فوضى كبيرة، ولن ينتظم فيها شيءٌ؛ غير أننا حين نرى مزرعة بديعة، وتنظيما دقيقا؛ فإنَّ أوَّل ما نستنتجه أنَّ النظام غير مغلق، وأول ما نسأله: من الذي فعل هذا؟ ومن الذي أبدع هذا؟

سيكون الجواب: الحارث الإنسان، سببا مباشرا؛ والزارع الله سبحانه، وإليه يرجع الأمر كله...

ومن ثم من خلال سورة الواقعة، حرك الله تعالى عقل الإنسان نحو «الزرع» وهو سبب من أعظم أسباب صيانة الإنسان، والحيوان؛ أي الأجناس الكبرى فوق جنس النبات؛ وتحدي أن يكون لأحد قدرة على نقل الزرع من بذرة إلى شجرة، بل إنَّ الحرث هو نهاية جهد الفلاح، وغاية تدخله؛ ثم يترك المهمة الحقيقية بيد الله، إذا كان مؤمنا به؛ أو بيد الغيب، إذا كان جاحدا؛ وفي كل الحالات، هذا اعتراف بالعجز، واعتراف بالقدرة المطلقة التي تتحدها: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (١٣) **ءَأَنْتُمْ نَزَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** .

ثم كان التحدي الأكبر ناطقا باسم ﴿الْمَاءِ الَّذِي تَسْرَبُونَ﴾؛ فهذا هي المزن فوقكم، هل تملكون إنزال الماء منها؟ وإذا نزل، هل تملكون حفظه من أن يتحول إلى ماء أجاج مالح، لا يصلح للشرب ولا للزرع، كما هو حال مياه البحر؟ ثم لو غاض معينه، ونضب مصدره ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾؟

وتواصل آيات السورة في اعتماد دليل الخلق جنبا إلى جنب مع دليل الصيانة والرزق؛ غير أنَّ الصبغة الغالبة على السورة تضع دليل الفناء في مقدمة أدلة وجود الله تعالى، وأدلة وحدانيته، وعلمه وحكمه وعظمته.

3. دليل الفناء، والانتقال إلى عدم، أو إلى عالم الآخرة:

عنوان السورة يحمل إشارة لطيفةً إلى دليل الفناء: ﴿الْوَاقِعَةُ﴾، أي القيامة والحاقّة؛ وكلُّ ما يشير إلى نهاية مرحلة «الدنيا» وبداية مرحلة «الآخرة»؛ وهنا تأتي صور الفناء متسارعة: ﴿إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾، ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾، ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّثْبَتًا﴾...

ثم يموت الإنسان، وينتقل إلى عالم الغيب، في خلقٍ جديد، ليُبعث ويحاسب؛ فيكون منه أزواج ثلاثة: السابقون المقربون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال.

ولا ريب أن المكذبين حين يناورون ويجادلون بالباطل يقولون: ﴿أَيُّدًا مِنَّنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيُّنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾؛ فهم بذلك يرفضون حقيقة البعث بعد الموت، ويعتقدون أن الموت هو تحول من البقاء إلى العدم؛ وهم يتعجبون أن آباءهم الذين ماتوا وانتهى أمرهم سيبعثون من جديد، ويحاسبون ويجزون أو يعاقبون.

والموت، وفناء الجسد، هو من تقدير الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾، والله تعالى قادر كذلك على أن يفنيهم ويأتي بأمثالهم، أو بخير منهم؛ فلا يعجزه سبحانه خلقٌ ابتداءً، ولا إعادة خلقٍ مرة أخرى.

ثم يحاجج الله تعالى البشرَ أنَّ جميع النعم التي يرفلون فيها، أو لاها نعمة أنهم «خلقوا»، ثم «نعمة الزرع»، و«نعمة الماء»، و«نعمة النار»، و«نعمة النجوم»... جميعها، بيد الله أمرها، فهو الذي يخلقها، وهو الذي يبقيها، وهو الذي بعد ذلك يفيئها وينهي أمرها.

وتأتي الصورة المزلزلة بين ثنايا السورة، وهي لحظة الغرغرة والحشرجة، لحظة خروج الروح من الجسد: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ ولا يملك الإنسان حيالها صرفاً ولا عدلاً، ولا يقدر أن يعيدها أو يمنعها من الخروج، فهو مبهوت ينظر: ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾، والذي يملك أمرهم وأمرها هو الله وحده ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ﴾...

ومختصر أدلة التوحيد، في سورة الواقعة، أنَّ القرآن الكريم هو مصدرها الذي لا ينضب معينه؛ ومن ثم وجب على المسلم أن يلازم تلاوته، ويلازم ذكر الله تعالى بكل الصيغ المشروعة، منها الصيغة البديعة من التسبيح، والتي تكررت مرتين في ثنايا السورة، مرة وسطها، ومرة في خاتمها: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾...

سبحان ربي العظيم...

بين سورة الواقعة والرحمن: نقاط التباين

تقدم أنَّ سورتي الرحمن والواقعة تفسَّر الواحدة منهما الأخرى، ويكاد التطابق يكون بينهما تامًّا؛ لكأنَّ مرآة الحق منصوبة بينهما، فإذا أنت اطلعتَ على جمال واحدة منهما فقد تكحلت عينك بالأخرى؛ ولقد أظهرنا بعض مواطن التوافق والتفسير في بداية سورة الرحمن؛ ولكن مع ذلك ثمة مواضع تختلف فيها السورتان، ومن ذلك:

افتتاح الرحمن باسم الله تعالى «الرحمن»، أمَّا الواقعة فقد افتتحت باسم من أسماء يوم القيامة: «الواقعة». ومن ثم كانت سورة الأولى سورة الرحمة، والثانية سورة الهيبة. طواف الولدان المخلَّدون على المتنعمين من السابقين السابقين؛ ولم يرد ذكر للغلمان في سورة الرحمن.

تكرار ﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في الرحمن، ولا يوجد تكرار في سورة الواقعة، إلا ما كان من قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ...﴾ أربع مرات. ولا ريب أنَّ التكرار لفظيُّ وله ظلال في المعنى. والتكرار في السورتين جاء تأكيداً على النعم، أن نرى النعم، ولا نكفر آلاء الله سبحانه.

ورد ذكر المشارب وآنيتهما في سورة الواقعة: ﴿يَا كُوفِرِ وَأَبَارِقِ وَكَلَسِ مِنْ مَّعِينِ﴾ ولم يرد في سورة الرحمن سوى ذكر

المآكل؛ والعينان في الجنان وردت قبل الفاكهة؛ وهي لسقيها؛ وقد تكون للشرب كذلك: ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، و﴿عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ﴾.

في سورة الرحمن تذكير بكون الله تعالى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾، وذكر المشرق والمغرب في الواقعة غير وارد؛ وكذلك ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ...﴾، ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ...﴾.

الناس يوم القيامة ثلاثة أزواج، جاءت في نهاية سورة الرحمن؛ مرتبة واحدة للمجرمين المكذبين ومرتبتيان للمؤمنين المصدقين، وهي نفس المراتب الثلاثة المذكورة في بداية سورة الواقعة.

هذه أمثلة لنقاط التباين والاختلاف في السورتين، وهو تباين في الموضوع لا في المنهج، وأما مواطن الاتفاق فهي تكاد تكون شاملة، فسبحان منزل القرآن على سيد الأنام محمد ﷺ، على أحسن صورة، وبأجمل بيان. وهو الذي أمرنا أن ندعوه بقوله: ﴿نَبِّذْكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلْدِ وَالْإِكْرَامِ﴾، شَبِّتَ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾...



قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ①
لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ③

بذور المعنى

❖ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله، شَبِتَ. قال: شَبَّتْنِي هُوْدٌ، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كُوِّرَتْ». وقال رسول الله ﷺ: «سورة الواقعة سورة الغنى، فاقرؤها وعلموها أولادكم».

❖ ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾: الواقعة من أسماء يوم القيامة، أو هي علمٌ بالغلبة عليها؛ مثل ﴿الْأَزِفَةُ﴾، و﴿الْمَأَقَةُ﴾؛ وقيل هي الصيحة.

❖ ووصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة؛ ومعنى وقوع

الأمر نزوله، يقال: وقع ما كنتُ أتوقعه، أي نزل، ولذلك يقال: «إذا نزل القضاء عمي البصر» أي وقع. وكأنها وقعت بالفعل رغم أنها زمنًا لم تقع بعد؛ ذلك أن الذي يوقعها بيده أمرها، لا رادًا لحكمه، ولا معترض على إرادته؛ فهي واقعةٌ حكمًا، وأزلاً، وتدبيرًا، ووعدًا.

❖ ﴿إِذَا﴾ ظرفٌ للمستقبل يُفيد الشرط؛ وافتتاح السورة به لجلب الانتباه؛ ثم لترقّب ما بعده، وانتظار الجواب؛ ومثله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. وجوابها بعد جملة الاعتراض، هو: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ...﴾.

❖ ﴿لَيْسَ لَوْعَنَهَا كَذِبَةٌ﴾: أي إذا وقعت لم يكن ثمة من يكذب بها، أو يقدر على ردّها كما كان يفعل من قبل. يملك الجاحد أن يكذب القرآن والوحي في إخباره بتحقيق وقوعها في هذه الآية وفي غيرها، فثمة مكذبون بها إلى يوم القيامة؛ ولكن حين وقوعها عيانًا، لا تبقى نفس قادرة على التكذيب.

❖ اللام في ﴿لَوْعَنَهَا﴾ لام توقيت، ومثله: ﴿أَفِرُّ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾. وفي الحديث سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أفضل، فقال: «الصلاة لوقتها».

❖ مادّة وقع في القرآن الكريم تُستعمل للدلالة على الأمور

الهامة المهيبة سواءً أكانت خيراً أم شراً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾، ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ﴾، ﴿وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

❏ ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾: هي خافضة لأقوام عُصاة سيأتي بيان حالهم، ورافعة لأقوام طائعين، سيأتي بيان مصيرهم؛ هي خافضة «لأصحاب الشمال»، رافعة «للمقربين، ولأصحاب اليمين». وسيأتي في الآيات الأخيرة من السورة تلخيصٌ لحقيقة الرفع والخفض: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ... فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.



التشغيل والتفعيل

❏ قد تكون «إذا» في الآية متمحضة للظرفية لا شرطية فيها، فلا تحتاج إلى جواب؛ أو يكون العامل فيها فعل متقدّم مستتر ومثل «اذكر إذا» فتكون إذا مفعولاً به، كأنه قيل: اذكر القيامة.

❏ في استعمال فعل الماضي «وقعت» ملحظ هامٌّ، وهو أنّ القائل هو الله تعالى، وفي حقه ليس ثمة خط للزمن: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ فهو الخالق للزمن، وهو العليم والقدير خارج حكم الزمن؛ وإنما الزمن بُعدٌ من أبعاد المخلوقات، ووقوعها متحقق عند الله

تعالى لا أثر لمرور الزمن عليه، نافذ على العباد يوم تقع عند نزول أحكام يوم القيامة، فهم خاضعون لسلطان الزمن.

□ سورة الرحمن هي سورة إظهار الرحمة، وسورة الواقعة هي سورة إظهار الهيبة؛ ومستهل كل سورة دال على طبيعتها ومحتواها: ﴿الرَّحْمَنُ﴾، ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾.



٥٠ من الفكر إلى الفعل

٥٠ من كان في الدنيا متكبرا مترفعا عن الحق وعن الخلق، جازاه الله في الآخرة بـ ﴿خَافِضَةٌ﴾؛ ومن كان في الدنيا متضعا لله تعالى، متواضعا لخلقه؛ كانت جائزته يوم القيامة هي ﴿رَافِعَةٌ﴾.

٥١ لا يمنح القيمة الحقيقية للإنسان إلا الله تعالى؛ فمن ابتغى قدرا ورفعة عند غيره أذله الله؛ ومن رام القدر والقيمة عنده سبحانه أعزّه الله.

٥٢ معايير الرفعة والخفض عند الناس ليست هي ذات المعايير عند الله تعالى؛ قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثٍ أَغْبِرُ مَدْفُوعٌ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ»، وأشعث عنوانٌ على فقره، ومدفوعٌ بالأبواب كناية على أنه لا جاه له عند الناس. ولو أنه أقسم على الله لأبر الله قسمه، ولأنفذ ما قال لمكانته عنده جَلَّ وَعَلَا.



قال الله تعالى:

إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ④ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ⑤
فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ⑥

بذور المعنى

❏ ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾: رج الشيء من معانيه حرّكه بشدّة، وهزّه، وزعزعه، وزلزله؛ وكلّها معانٍ تفيد الاضطراب الكبير حتى لا يبقى شيءٌ على ظهر الأرض أو في باطنها إلاّ ويُلقى بعيدًا: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾؛ ويوم تقع الواقعة تزلزل الأرض: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، ويختلط أمر الكون كله ثم ﴿بَدَّلَ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾.

❏ ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾: فتت الجبال تفتيتًا، حتى تصير كالسُّويق، وهو الطعام المدقوق المفتت، الذي يصنعه العرب، ويسمى «البيس»؛ ولقد وُصفت الجبال بأوصافٍ

عديدة حال قيام الساعة، منها أنها: تُرَجَف، وتُسنَف، وتكون كالعهن المنفوش، وكالهباء المنبث، وتكون كثيراً مهيباً...

❏ ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾: منبثاً أي متفرقاً، والهباءُ هو الغبار، أو الترابُ الذي تطيره الرِّيحُ ويلزق بالأشياء، أو ينبثُ في الهواء فلا يبدو إلاّ تحت ضوء الشَّمسِ شبيهاً بالدخان. وفي آية أخرى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.

❏ والجبال بعد أن تتفتت تتحوّل إلى هباءٍ منبثٍّ، متطايرٍ ومنثورٍ؛ ولعلّها تعود إلى مراحل الخلق الأولى، قبل أن تصير كثيفةً صلبةً؛ ثم تتلاشى وتزول فتعود إلى العدم كما جاءت من عدم؛ وفي كلّ الحالات الخالق هو الله **جَلَّ جَلَالُهُ**، والذي يُفنيها هو الله **جَلَّ جَلَالُهُ**. وهل يملك إنسان واحد فعل ذلك مع صخرة صغيرة واحدة، بله الجبال الرواسي؟



التشغيل والتفعيل

❏ شبه الله تعالى تحرك الجبال ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ بتحرك الصبِّي في المهد أي بـ«الارتجاج»؛ فكانت صورةً كونيةً عميقةً؛ لعلّها تعلن عن بداية فسادها وتحولها إلى أرض غير التي نعرفها.

❏ الآيات التي تحدّثت عن أحوال الجبال يوم القيامة كلُّ منها يصف مرحلةً من المراحل، أو حالةً مختلفةً من الحالات. ولا تناقض بين الأوصاف كما يتوهم المرجفون. وكذلك الأمرُ بالنسبة لوصف السماء، أو الأرض، أو حال الناس يوم الحساب... وغيرها.

❏ الله تعالى أمرَ الأرضَ فرجّت واهتزّت، وأمرَ الجبال فبُست وتفتّت؛ وأمرَ الإنس والجنّ فكان منهم الطائعُ والعاصي؛ وهم في ذلك لا يُعجزون الله سبحانه، ولو شاء لقهرهم؛ وهو الذي هداهم النجدين، وخيرهم بين السيلين: الشكر أو الكفر، الطاعة أو العصيان. ثم يوم القيامة تسلّم الأكوان أوراق اعتمادها لله ذي الجلال، في تذلل واستسلام، وقد أدّت ما عليها؛ ويبقى الإنسان، ليحاسب ويجازى على الإيمان أو الطغيان.



• من الفكر إلى الفعل

• كانت الأرض نعم المهاد للبشر إلى أن جاءت ساعة القيامة، فانتفضت واهتزت؛ وكأنها ترمي بمن يكفر بالله تعالى بعيداً، وتلفظ من لم يؤمن بالله بصورة مهينة. وسورة الزلزلة دالة على هذا المعنى.

• قال رسول الله ﷺ: «لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا، فيجعلها الله عزَّجَلَّ هباء منثورًا». قال ثوبان: يا رسول الله صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»... فيحذر الإنسان أن يحبط عمله.

• قال رسول الله ﷺ لصحابته: «تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن» قالوا: «نعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن».



قال الله تعالى:

وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۗ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا
 أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۗ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا
 أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۗ

بذور المعنى

❖ ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾: الخطابُ في الآية لأمة سيدنا محمد ﷺ، أو هو لجميع الخلق. والزوج ليس هو الاثنان، وإنما هو الفرد المقترن بالآخر، مثل زوج النعل، أو المرأة مع بعلمها، كل ذلك يسمّى زوجاً. فإذا قامت الساعة كان الناس أزواجاً ثلاثة: أصحاب الميمنة (اليمين)، وأصحاب المشأمة (الشمال)، والسابقون (المقربون). وسيأتي بيان صفات كلّ صنفٍ من الأصناف والأزواج الثلاثة.

❖ ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: الذين يؤتون صحائفهم

بأيمانهم ﴿مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ﴾؛ ومنزلتهم عند الله منزلةً رفيعةً، سَنِيَّةٌ شَرِيفَةٌ. وهم الميامينُ على أنفسهم، أي أنهم أهل لليُمن على الناس وعلى أنفسهم.

❖ واليمين رمزٌ وعنوانٌ للكرامة عند العرب، وهو مشتقٌ من اليمن أي البركة. ومن بديع البلاغة في العربية أنَّ اليسار رمز للغنى والثروة والسعة.

❖ والآية جوابٌ لأداة الشرط «إذا» في صدر السورة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ... فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ...﴾، وما بينهما جملة معترضة؛ و ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ بدل من ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾.

❖ ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: الذين يؤتون كتابهم بشمالهم أو من وراء ظهورهم ﴿مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ، بِشِمَالِهِ﴾، ﴿مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ، وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾؛ ومنزلتهم عند الله منزلةً وضيعةً، دنيَّةٌ خسيَّةٌ. هم المشائيم على أنفسهم، أي أنهم أهلٌ للشؤم حتى على أنفسهم ثم على الآخرين.

❖ والشَّمال رمز للشؤم عند العرب، والشؤم ضدُّ اليمن.



التشغيل والتفعيل

❖ إحدى التوجيهات للآية أنَّ المراتب الثلاثة استحقَّها أصحابها يوم القيامة بحسب مراتب أعمالهم في الدنيا؛ منهم من عمل الخير كلَّ عمره، ومات على الإسلام؛

ومنهم من أسرف، ثم تاب ومات على الإسلام؛ ومنهم من مات على غير الإيمان والطاعة والاستسلام لله تعالى، فمات على غير الإسلام؛ فهذه ثلاث حالات، ولا ريب أن التقسيم يعلمه الله سبحانه، ومن يكون من صنف دون آخر هو بأمر من الله تعالى، وهو العليم الحليم. ولا أحد يملك العصمة أو يدعيها؛ وإنما التوفيق والهداية بيد الله جل شأنه، وعظمت رحمته.



• من الفكر إلى الفعل

• لعل التبرك باليمين في آداب المسلم تفاؤلاً منه أن يكون من أهل اليمين، قال رسول الله ﷺ: «يا غلام، سمّ الله، وكل بيمينك...».

• في الآيات ملحظ تربويّ، وهو أنّ تقسيم الناس حسب جهدهم، ومجازاتهم وفق مراتبهم، من العدل والحكمة؛ وهي مستمدّة من فعل الله تعالى مع الناس؛ مع شرط أن يترك لهم الحرية للاختيار، وأن لا يكونوا مقهورين على خيار دون آخر.



قال الله تعالى:

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةٍ
النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾

بذور المعنى

❏ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾: أخرج الله تعالى ذكرهم في الترتيب وهم الأفضل؛ لأن ذكرهم بالسبق كافٍ في بيان تفضيلهم على غيرهم؛ ثم من حيث الأسلوب ليتوسّع في محاسن أوصافهم، بلا فاصل. أمّا في شأن أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، فثمة فاصل.

❏ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾: هذا هو الصنف الثالث؛ أي الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة، أو هم الذين سبقوا في فعل الخيرات وترك المنكرات، وهم أرفع شأنًا من ﴿أَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ﴾. وتكرار ﴿السَّابِقُونَ﴾ للتعظيم، كما يقال:

«كريم كريم»، «أنت أنت» لبيان القدر.

❖ لم يقل تعالى: «السابقون ما السابقون» كما في أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة؛ لأنَّ السبق مستقلٌّ بالمدح والعجب، ولا حاجة إلى «ما» الاستفهام والتعجب.

❖ يسأل السائل: من هم السابقون، وما صفاتهم، لاقتدي بها، رجاء أن أكون منهم؟ ولقد أحصيت في بيان حقيقتهم أكثر من عشرين توجيهاً وصفةً؛ منها ما هو خاصٌّ مثل: الأنبياء، والمهاجرون الأولون، والأنصار؛ ومنها ما هو عامٌّ، مثل: السابقون إلى التوبة وأعمال البر، ومن يسبق إلى المساجد وإلى الجهاد.

❖ وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: أتدرون من السابقون إلى ظلِّ الله يوم القيامة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الْحَقَّ قَبِلُوهُ، وَإِذَا سُئِلُوهُ بَدَّلُوهُ، وَحَكَمُوا لِلنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ».

❖ بالجمع بين الآراء يكون السابقون هم الأولون في كلِّ طاعةٍ، وفي كلِّ عصر، وفي كلِّ مضمار للسباق نحو الخيرات: فثمة سابقون في التوحيد، وسابقون في الصدقة، وسابقون في نفع الخلق، وسابقون في خدمة العلم؛ وثمة سابقون في كلِّ عصر ومصر، وسابقون من كلِّ جنس. إنهم الأوائل.

❖ ﴿أُوَلِّيكَ الْمُقْرَبُونَ﴾: وصفٌ للصف الأرفع مقاماً عند الله

تعالى وهم «السابقون السابقون». والقربُ من الله تعالى ليس قرباً حسيّاً، ولكنه قربٌ معنويٌّ. يقول الإمام الشافعي: «اعلموا أنّ الباري عزَّجَل لا مكان له». أو هم المقرَّبون من عرش الرحمن، يستظلون به في كرامة وأمان.

❖ ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾: مقامهم هنالك، يتنعمون بنعمة لا تزول عنهم، ولا يزولون عنها؛ كلُّها هناءٌ وراحةٌ بالٍ، لا ينغص عليها منغصٌ؛ خلافَ نعم الدنيا. وإضافة الجنات إلى النعيم من إضافة المكان إلى المكين، أي إلى ما يكون فيه؛ كما يقال: درا الضيافة، بيت الصيانة.

❖ ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾: الثلاثة بمعنى الجماعة، والفصيصة، والطائفة؛ من مادة (ث.ل.ل.)، وفي الصوف الثلاثة هي القطعة المجتمعة.

❖ ثلثة وكثرة من السابقين يكونون من العصر الأول في الإسلام، وقليل منهم يكونون من العصور التي تليها. فالسبق في الإسلام سبق في الدرجات والمقام، ودليلهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾.

❖ ولكن من المفسِّرين من اعتبر الأولين والآخرين في تاريخ البشرية، فيكون الأولون قبل بعثة الرسول عَلَيْهِ السَّلَام، والآخرين بعد بعثته، وهم من أمته ﷺ. ولعلَّ قوله

تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾
مرجّح لهذا المعنى على غيره. يقول الشيخ بيوض:
«وهذا من أقطع الأدلة على أنّ الكلام عن البشر عامّة
من لدن أبي البشر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى آخر إنسان يبقى
على ظهر الأرض».



التشغيل والتفعيل

- ❑ تكرار الوصف في ﴿وَالسَّادِقُونَ السَّادِقُونَ﴾ مؤذن برفعة المقام،
وقرب المنزلة من الذاكر. فمن أحببت أعدت وصفه
مرّات، ومن لم تحبّ لم تأنس بإعادة ذكر اسمه وصفته.
- ❑ لم يقل الله تعالى: أولئك هم المقرّبون؛ ذلك أنّ القرب
المعنوي لازم أن يوافقه قرب في البيان والعبارة؛
فحُذفت «هم» التي تبعد المعنى ولا تقرّبه، فتوافق
القربان: في المبنى وفي المعنى.
- ❑ الحدّ الفاصل بين زمان الأولين وزمان الآخرين غير
معلوم: متى يبدأ ومتى ينتهي؟ وذلك بقصد الاجتهاد؛
ذلك أنّ باب التنافس والسبق مفتوح إلى يوم الدين.
- ❑ في كل عصر وفي كل مصر ثمة قوم من السابقين، ومن
أصحاب الميمنة، ومن أصحاب المشأمة؛ فالفرصة
سانحة ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

• من الفكر إلى الفعل

• من صفات السابقين أنهم ينصفون من أنفسهم، ويقبلون الحق من غيرهم، ويعدلون في الحكم. فاللهم اجعلنا من السابقين السابقين.

• عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي في قبة، فقال: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟»، قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟»، قلنا: نعم، قال: «أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟»، قلنا: نعم، قال: «والذي نفس محمد بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر».

• في كل مجال من مجالات الحياة ثمة سبق؛ فليختر أحدنا حلبة السباق التي يبرز فيها، ويسبق غيره.



قال الله تعالى:

عَلَى سُرْرِ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ ﴿١٦﴾

بذور المعنى

﴿عَلَى سُرْرِ مَوْضُونَةٍ﴾: وَضَنَ الشَّيْءَ جَعَلَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، ووضن الثوب نسجه، والموضونة هي المنسوجة والقوية اللُّحمة والسَّدى؛ والسُّرُّ الموضونة هي المنسوجة بالثمين من المواد، أو هي السررُ التي يوضع بعضها فوق بعض؛ إمعانا في التنعُّم، وهم ﴿فِي جَنَّتِ التَّعِيرِ﴾.

والسرير الموضون كذلك، هو الذي نُسجَ سلكه الذي يقوم عليه؛ وكلِّما كان النسج محكما كان السرير أمتن وأثبت؛ والسرير الموضون أريح وأفضل وأغلى من الذي يكون صفائح من حديدٍ أو من خشب.

❖ ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ﴾: ذكر الاتكاء على الفرش وعلى السرر وعلى الأرائك، في كثير من مواطن القرآن الكريم: وأضيف إليها صفة ﴿مُتَّقِلِينَ﴾ والمراد أن الواحد منهم يستقبل الآخر بجسمه، وبقلبه؛ فلا كدر يشوب ما بينهم.

❖ قال بعض: «المنعمون يوم القيام أرواح نورانية لا أجسادٌ مثل أجساد الدنيا، ومن ثمَّ ليس لهم أدبار وظهور، وجميع جهاتهم وجه، كالنور الذي يقابل كلَّ شيء في آن واحد»؛ واستنتج ذلك من قوله تعالى: ﴿مُتَّقِلِينَ﴾، - وهذا قول ضعيف، فالعقيدة لا تبني على الظنّي - .

❖ في سورة الرحمن وردت صفة الاتكاء مرتين: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ طَائِفِينَ مِنْ إِسْتَرْقٍ﴾، و﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرِفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ وكأنه مزيد وصف في الواقعة للسرر الموضونة، وما عليها من فرش، ورفرف، وعبقري... .



التشغيل والتفعيل

❖ في الدنيا مهما أحبَّ المرء أحداً، حتى ولو كان زوجته أو أمه، فإنَّ القلب أحياناً ينفر، والعلاقة أحياناً تفسد، فلا يتقابل الاثنان إلا بتكلُّف ومشقَّة. وليس هذا من

أحوال الجنة. فإطلاق صفة ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ﴾ على الدوام، ليس من أحوال الدنيا الفانية، بل هو من أحوال الآخرة الباقية.

❑ يسمي الله تعالى نعم الآخرة، وأنواعها، وأوصافها؛ بأسماء الدنيا التي يألفها الإنسان: السرر، الاتكاء، الشجر، الأنهر... ولكن، ليس بينهما من شبه إلا في الاسم فقط.

❑ قاعدة كلية في الصحبة والمجالس: «اجلس مجلسا يُرضيك، ولا تجلس مجلسا يُرديك».



• من الفكر إلى الفعل

- في الآية توجيه إلى آداب الجلوس والمجالس؛ بأن يتقابل الاثنان، ولا يستدبر الواحد منهم الآخر، حتى وإن كانوا في مجلس أنسٍ متكئين.
- أعظم التوافق توافق القلوب؛ ثم يستتبع ذلك تقابل الأجساد؛ ولا خير في جسدين تقابلا لقلبين تنافرا؛ فذلك العذاب بعينه.
- من سلمت مجالسه في الدنيا مما يسخط الله تعالى، نال جزاءه يوم القيامة بمجالس حسن ونعماء: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ﴾.
- ومن كانت مجالسه في حرام، وفيما يسخط الله تعالى، حُرِمَ من هذا الخير الدائم الخالد. ف«أجلِسْ مجلساً يُرضيك، ولا تجلسْ مجلساً يُرديك».



قال الله تعالى:

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ
مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنَزِفُونَ ﴿١٩﴾

بذور المعنى

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾: في تلك المجالس التي هم فيها متكئين، يطوف عليهم غلمان سماهم الله تعالى ولدانا؛ لأنهم يبقون أبد الدهر صغار السن لبقين؛ ووصفهم بأنهم مخلدون؛ لأن كل ما في الجنة يخلد ولا شيء يفنى، أو لأنهم يخلدون في شكلهم وعمرهم لا يطالهم الكبر والهرم.

ذهب بعض إلى أن الولدان في الجنة هم أولاد المشركين، ونقلوا عن الإمام علي رضي الله عنه قوله: «أولاد الكفار خدام أهل الجنة»؛ غير أن حديث سمرّة في صحيح

البخاري يعارض هذا المعنى، وفيه: «أولاد الناس تحت شجرة يكفلهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ»، قال: فقلنا: وأولاد المشركين؟ قال: «وأولاد المشركين».

❏ ﴿يَا كُؤَابَ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾: الكوب من آنية الشرب، وهو ما دقُّ عنقه وعظم رأسه من أوعية السقي؛ وهو القدح من الزجاج ونحوه، مستدير الرأس لا عروة له.

❏ والكأس هو كوبٌ شريطةً أن يكون ممتلئًا، ولا يقال للفارغ كأسًا.

❏ والأباريق: جمع إبريق، وهو وعاء له أذنٌ وخرطوم تصبُّ منه السوائل، ويحمل معنى الحسن والجمال؛ وهو برّاق اللون غالبًا، ويكون من خزف وزجاج وذهب وغيره؛ ومنه إبريق الشاي، وإبريق القهوة.

❏ المَعِين: هو ما ينبع من عينٍ مباشرة دون معالجة، والماء المعين هو الماء الذي يجري على وجه الأرض متدفقًا؛ وخمرُ الجنة كذلك، لا تعصّر عصرا، ولا تخزّن في أوانٍ؛ بل هي أنهارٌ وعيونٌ، تُعبُّ منها عبًّا. وقد يكون المعين هو الماء، ولكنَّ الوصف اللاحق مانعٌ من هذا التفسير.

❏ وجه الجمع بين الأكواب والأباريق والكؤوس، هو أنَّ الأكواب للماء العذب الزلال، والأباريق، لمشروب

آخر مثل ماء الزهر، والكؤوس للخمر السائغة.

❖ ﴿لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾: لا يصيبهم الصداع مثل ما يصيب شارب الخمر في الدنيا، إذ يصاب صاحبها بصداع ويرغب في الاستفراغ والقيء؛ أمّا هذه فخمر فيها لذة لا حموضة معها. أو لا يصدعون: لا يصدع بعضهم بعضا فيختلفون ويتشاجرون. أو لا يفترقون عنها، فكلما اشتهوها وجدوها. وهي معان يخدم بعضها بعضاً.

❖ ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾: أي لا تذهب بعقولهم كما تذهب خمر الدنيا بعقل شاربها؛ فهي خمر خلصت من كل شائبة، ومما يشينها. أو هي خمر لا شبه لها بخمر الدنيا إلا في الاسم، ولا شبه في الحقيقة والمحتوى.

❖ عند ورش ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ وفي رواية حفص: ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ ويقال أنزف السكر إذا سكر حتى ذهبت عقله.



التشغيل والتفعيل

❖ يقال مضاراً خمر الدنيا أربعة: الصداع، والسكر، والبول، والقيء. وأساء آثار شرب الخمر فقدان الكرامة، وضياع الرادع، واجتراح المعاصي.

❖ ذكرت المراكز الأمريكية لمكافحة الأمراض والوقاية

منها، أن الإفراط في شرب الخمر يكبّد الاقتصاد الأمريكي سنويًا أكثر من 200 مليار دولار؛ معظمها في فقدان الإنتاجية في مكان العمل. والنسبة الكبرى من التكلفة تتحملها الحكومة لا الأفراد.

❏ يميز العلماء بين ثلاثة أنواع رئيسة من الصداع: صداع التوتر، والصداع النصفي، والصداع العنقودي وهو أشدّها ألماً ووجعاً، ويسمّى هذا الألم «الألم الحادّ» أو «الألم الحارق». سبحانه نسأله العافية والصحة، وهو الذي علمنا أن ندعو: «وإذا مرضتُ فهو يشفين».

❏ مما ورد في تعظيم وزر شارب الخمر، وفي النهي عنها؛ قول رسول الله ﷺ: «اجتنبوا الخمر، فإنها مفتاح كل شرٍّ»، وقوله ﷺ: «مُدْمِنُ الْخَمْرِ إِنْ مَاتَ لَقِيَ اللَّهَ كَعَابِدٍ وَثْنٍ».



من الفكر إلى الفعل

•• من ترك خمر الدنيا طاعة لله تعالى أبدله الله الكريم خمرا طيبة في الجنة، تزيد لمتعته متعة وحسنا دائما لا يزول ولا يحول.

•• حرّم الله تعالى من الشراب ما يضر بنا، وما يصدّعنا، وما يكون سببا للشجار والخلاف، وما يذهب بالعقل؛ إمعاناً في حفظ كرامة الإنسان؛ وحرصاً على أن يكون طيب المظهر والمخبر، شريفاً.

•• من نعم الله أن ترك لنا من المشارب ما لا يُحصى، وأحلّ لنا مُتعا لا حصر لها؛ أمّا ما حرّمه فهو معدود ومحصور؛ لكنّ الجاحد يترك السعة ويحوم حول الضيق.

•• الخمر أم الخبائث، وشاربها لا يترك بابا للشرب إلا ولجه.

•• طالع «كتاب الأشربة» من مصادر الحديث: صحيح البخاري ومسلم ومسنند الربيع بن حبيب.



قال الله تعالى:

وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾

بذور المعنى

❏ ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾: تحوّل المشهد البديع من وصف المشارب إلى وصف المآكل، ولا يكتمل أحدهما إذا غاب الآخر. والفاكهة هي ما يتفكّك به الناس، والغالب في الإلف أن تكون بعد الطعام، ولكنها هنا وردت قبله، أي قبل لحم الطير؛ لأنه لا جوع في الجنة، وإنما المتعة واللذة هما واقع الحال.

❏ ﴿مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾: أي لا يُفرض عليهم نوعٌ دون آخر، ففي الجنة فاكهةٌ من كلِّ نوع، يتخيّر المتنعّم منها ما يشاء، وهم إمّا يقطفونها مباشرة من الشجر:

﴿فَطُوفُهَا دَائِنَةٌ﴾، أو يأخذونها من أطباق يطوف بها ﴿وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾، وهم متكئون على الأرائك والفرش، يأكلون ويشربون ويتفكّهون، ولا منغص لهم.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾: لحم الطير مفضّل على غيره من اللحم؛ وهذا في أحكام الدنيا، وهل هو نفس الحكم في الآخرة؟ ظاهر الآية أنه كذلك؛ لأنّ لحم الطير جاء في معرض مآكل السابقين السابقين؛ وهم أعلى درجة من غيرهم. والله أعلم.

في سورة الطور ورد اللحم ولم يعيّن نوعه: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾، ولم يخص لحم لأصحاب الجنة في القرآن الكريم غير لحم الطير.



التشغيل والتفعيل

في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّكَ لَتَنْظُرُ إِلَى الطَّيْرِ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْتَهِيهِ فَيُحْيِيءُ مَشْوِيًا بَيْنَ يَدَيْكَ». واليوم يتفنن الناس في اختيار السمك أو الطير حيًّا، ثم يذهب به ويشوى، وذلك إمعانًا في التمتع.

يقول الإمام الرازي في تفسيره الكبير، بأدب جمٍّ مع كلام الله تعالى، وهو من هو علمًا وفهمًا وتبحُّرًا:

«هل في تخصيص التخيير بالفاكهة والاشتهاء باللحم بلاغة؟ قلت: وكيف لا وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة، وإن كان لا يحيط بها ذهني الكليل، ولا يصل إليها علمي القليل. والذي يظهر لي فيه أن اللحم والفاكهة إذا حضرا عند الجائع تميل نفسه إلى اللحم، وإذا حضرا عند الشبعان تميل إلى الفاكهة؛ والجائع مشتته والشبعان غير مشتته، وإنما هو مختار إن أراد أكل، وإن لم يرد لا يأكل».

هل يستفاد من ترتيب الآيات حول المشارب والمآكل: الشراب، ثم الفاكهة، ثم لحم الطير؛ أن هذا التقديم في موائدنا أفيد للصحة، وأدعى للراحة والمتعة، خلاف ما ألفنا، من تقديم اللحم، وتأخير الفاكهة، ثم الشراب آخر؟ للبحث.

للإسراع في الأكل مضار كثيرة، صحيّة ونفسية؛ وللمبالغة في طول المكث حول مائدة الطعام مضار كثيرة، على الوقت وعلى حساب الهمة والمهام الحضارية للإنسان؛ والتوسط هو المطلوب، وهو المعقول. فهل تفيدنا آيات ربنا في وضع معايير لعاداتنا اليومية هذه؟ للبحث.



• من الفكر إلى الفعل

• إذا بالغ الأكل في أكله انتهت به الوليمة موجعا، وسببت له أمراضا قد تكون مزمنة؛ وهو ولا بد أن يأكل ما به الحاجة، ولا يقدر على متابعة شهيته؛ لكن في الآخرة لا جوع ولا شبع، ولا ألم ولا مرض.

• قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ وما دامت النفس محبة للفاكهة، وللحم الطير وغيره من اللحوم؛ فلن تصدق منهما ما استطعنا، حسب سعة كل واحد منّا؛ بخاصة لمن حرم منهما؛ حتى ننال البرّ عند الله، ولا نحرم منهما يوم القيامة.



قال الله تعالى:

وَحُورٌ عَيْنٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾

بذور المعنى

❖ ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ﴾: أي يطوف عليهم ولدان مخلّدون، ويطوف عليهم الحور العين. ومن معاني الحور العين أنها: شديدة سواد العين، شديدة بياضها. وقيل الحور العين: يحار فيهنّ الطّرف لجمالهنّ وحسنهنّ.

❖ وصفت الحور العين في سورة الرحمن بأنهنّ ﴿كَأَنَّهِنَّ أَيَّاوُتُ وَالْمَرْجَانُ﴾، وهنا وصفن بأنهنّ ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾. ووجه الشبه في الصفاء، والجمال والحسن، وكذا في كونهنّ مصونات من كلّ ما يدنّس؛ فاللؤلؤ المكنون مصونٌ ومحصون في محاره وأصدافه، أو في خزائن

الجواهر الثمينة عند امتلاكه؛ وهنَّ مصونات في الخيام، وفي القصور، وفي مجالس الأُنس والصفاء.

❖ **﴿كَأَمْثَلِ﴾**: الجمع بين الكاف والمثل للتأكيد، وإلا لقال: كاللؤلؤ المكنون. أو المثل الصفة؛ أي صفاتها كصفات اللؤلؤ المكنون. و«الزيادة في المبنى زيادة في المعنى».

❖ **﴿اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونِ﴾**: اللؤلؤ من الأحجار الكريمة، وهو نفيس وباهظ الثمن، وهو غالبا ما يتشكّل داخل أصداف تصونه وتحفظه من كلّ ما يشينه.

❖ ومكنونٌ في اللغة على وزن مفعول، من كنّ الشيء أي أخفاه وستره وحفظه؛ والمكنون المستور البعيد عن الأعين. ويأتي على عكس **﴿اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونِ﴾** الذي هو وصفٌ للحوار العين «لؤلؤا منثورا» الذي هو وصف للولدان المخلّدين.



التشغيل والتفعيل

❖ الحوار العين من النساء اللاتي خلّفن في الجنة وللجنة وهن من صنف الملائكة؛ أمّا النساء المؤمنات في الجنة فيُخدمن ولا يخذمن، وهنَّ أرفع درجة من الحوار العين؛ ذلك أنهن دخلن الجنة بعملهن فضلا من الله

تعالى؛ ولهن ما للرجال من الأجر والمثوبة وحسن
المقام.

❏ في الحديث الشريف: «... وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ، لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَّتْ
مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا
وَمَا فِيهَا».



• من الفكر إلى الفعل

• من عفاً في الدنيا جُوزِي بالحوار العين يوم
الجزاء؛ ومن أطلق نفسه للحرام من النساء،
حُرِم منهن يوم التغابن.

• قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ * وغض البصر
أزكى لهم دنيا وآخرة.

• ولا ريب أن غض البصر اليوم، مع الوسائل التقنية
المعاصرة بات صعباً، فلنتق الله ما استطعنا.



قال الله تعالى:

جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿24﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْتِيْمًا ﴿25﴾ إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿26﴾

بذور المعنى

❑ ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي أنهم نالوا هذه النعم، وهذه الرِّفعة، وهذا المقام العالي المحمود في الجنة؛ بسبب ما كانوا يعملون في الدنيا من العمل الصالح. ولا يعني هذا أنهم نالوه استحقاقاً؛ وإنما نالوه برحمة الله وتفضُّل منه.

❑ التوحيد شرط في دخول الجنة، وكذلك العمل الصالح؛ ولا أحد من الخلق ينال الأجر والمثوبة والجزاء الحسن عند الله تعالى إذا لم يكن من أهل التوحيد، أو لم يكن ممن عمل صالحاً: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾، ﴿وَقَالَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴿١٠﴾ .

❖ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا﴾ : اللغو من الكلام: في الأصل هو صوتُ الطير، ثم كُنِّي به عن صوت الكلام غير المجدي، ولغا الشخص يلغو تحدّث بأمر تافهة لا معنى لها، ولا فائدة فيها، ولا يعتدُّ بها.

❖ في الدنيا، نهانا الله تعالى عن اللغو وعن الكلام الذي يجرح الناس ويخدش كرامتهم، فقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ، وفي الجنة لا يسمع المتحابُّون في مجالسهم كلامًا جارحًا، أو لغوًا باطلاً.

❖ والتأثيم، هو ما يَأْثِمُ به المتكلِّم من كلام، أو هو المعصية والإثم عموماً مما يُسمع عنه ويستهجَن. وهو كذلك اللومُ والإنكار على الآخر، أي تحميله مسؤولية الإثم وعتابه عليه: أثمه، يؤثمه.

❖ ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾ : أي يتبادلون فيما بينهم التحية بـ ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ لقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ ، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ . والجنة هي ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ ، قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ . ومن أسماء الله الحسنى «السلام» .

❖ في التكرير ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ إشارةٌ إلى تمام النعمة؛ وإلى كثرة سماعها والتحية بها بين أهل الجنة: من السعداء المؤمنين، ومع الملائكة الكرام.

❖ فأهل الجنة فيما بينهم لا يقولون إلا ما فيه الفرح والسرور، والمرح والحبور؛ رغم أنهم غير مكلّفين بطاعة، إلا أنهم جُبلوا عليها حتى صارت فيهم صفةً لازمة، لا تكلفًا ومجاهدة. أمّا في الدنيا فلا بدّ من المجاهدة والمصابرة، حتى يبلغ الناس في مجالسهم مبلغا يرضي الله تعالى، ولا يُسخطه سبحانه.



التشغيل والتفعيل

❖ كان البدء في مشهد السابقين من هذه السورة بتكرار اللفظ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، وجاء الختم بتكرار لفظ السلام: ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾. وهذا من بديع البلاغة، في أنهم في المقام العلى، والسلام الذي يحيط بهم هو السلام المطلق.

❖ رغم أنّ السلام هو عنوان ديننا، إلا أننا هجرناه، فقلّ السلام بيننا، وكثرت الفتن والحروب، وحلّ العنف والهجر والظلم محلّ الرفق والصفح والإحسان.

❖ يقول الرئيس علي عزت بيجوفيتش رَحِمَهُ اللهُ: «إنّ الإسلام لم يأخذ اسمه من قوانينه ولا نظامه ولا محرّماته، ولا من جهود النفس والبدن التي يطالب الإنسان بها؛ وإنما من شيءٍ يشمّل هذا كلّهُ ويسمو عليه: من

لحظةً فارقة تنقذ فيها شرارةٌ وعيٍ باطنيٍّ... من قوّة
النفس في مواجهة محن الزمان.. من التهيؤ لاحتفال
كلّ ما يأتي به الوجودُ... من حقيقة التسليم لله.. إنه
استسلام لله.. والاسم إسلام!



• من الفكر إلى الفعل

• السلام هو تحية الإسلام في الدنيا، وهو تحية أهل الجنة يوم القيامة؛ ولقد اشتق اسم الإسلام من مادة السلام، فكانت له شعارا وعنوانا.

• نُهينا عن المجالس التي يدور فيها كلام قبيح، من مثل السبِّ والشتم، وذكر العورات؛ ولا حجة لمن يقترف هذا الإثم بداعي التندرُّ والبسط؛ فهذا مزاح المنافقين، ومزاح من لا يخاف الله جَلَّ جَلَالُهُ.

• المجالسُ اليومَ تطورت إلى جلسات طويلة أمام الشاشة، مع ما يحل وما يحرم؛ ولا ريب أن لها نفس الحكم الشرعي الذي للمجالس بين الناس؛ فما كان فيها من حرام فهو معصية، وما كان من حلال فهو طاعة.

• التحية بغير «السلام عليكم»، من مثل «صباح الخير»، «كيف حالك»... لا تحل محلها حكما ولا مثوبة، ولا يجوز للمسلمين أن يتبادلوها بينهم بدلا عن تحية الإسلام: السلام.

• للقراءة: «الإسلام بين الشرق والغرب» فصل «التسليم لله» لعلي عزت بيجوفيتش.

قال الله تعالى:

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ
مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾

بذور المعنى

❏ ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾: اليمين واليمينتان لهما نفس المؤدّى في المعنى؛ إلا أنّ في اليمينتان معنى زائد وهو اليمن والبركة، وفي اليمين إشارة إلى الموضع والمكان.

❏ وصيغة السؤال مع (ما) التعجبية تفيد تعظيم وتفخيم المسؤول عنه من جهة الخير مثل هذه الآية، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا عَبْدِهِ مَا أَنزَلْنَا﴾. ومن جهة الشر تفيد بلوغ أسفل الدرجات، مثل قوله سبحانه: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾.

- ❏ ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾: السِّدْر هو شجر النبق والسنط، وهي شجرة لها شوك، ثمره لذيذٌ إذا نبت في أرض طيبة؛ ونفس الشجر هو الشجرة المذكورة في سورة النجم باسم ﴿سِدْرَةَ الْمُنَهَّى﴾. وهي شجرة في السماء السابعة.
- ❏ ﴿مَخْضُودٍ﴾ أي أن شوكتها مصرومٌ ومنزوعٌ؛ وفي الجنة نزع منها ما يؤذي، وترك ما يفيد ويُمتع.
- ❏ ولا بدَّ من ملاحظة التلازم بين خمر الجنة، والسدر المخضود؛ فكلاهما بمعنى من المعاني نُزع منه ما يؤذي، وتُرك فيه ما يمنح اللذة والطعم؛ فمن الأولى نُزع الصداق والنزف، ومن الثانية نزع الشوك والأذى.
- ❏ ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾: الطلح هو «الموز» عند أغلب المفسرين وأصحاب اللغة، وهو من الفواكه الاستوائية.
- ❏ والنضد من فعل نَضَدَ ونَضَّدَ أي رصف وصفَّ، ومنه المنضدة؛ فشجره مصفوفٌ في منظر بديع، ومثله مثل النخل: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعٌ نَّضِيدٌ﴾؛ وكلُّ من شجر الموز والنخل تأتي ثمارها في عراجين جميلة المنظر، مرصوفة، منضودة؛ تأخذ بالألباب.
- ❏ وقد يكون «الطلح» بمعنى نبات السنط، وهو النبات المعروف بالأكاسيا (Acacia)، من الفصيلة البقولية؛ وهو نبات يتميز بطول الأشواك، أي هو شائك مثل

السُّدر؛ وله فوائد غذائية ودوائية كثيرة. والتلازم بين الآيتين أَنَّ الشجرتين فيهما شوك، ولا يُستظل بهما، ومع ذلك يأتي، الظل ممدودا غير منقطع.

❖ ﴿وِظِلِّ مَمْدُورٍ﴾: هو ظل ممتد دائماً لا يزول، إذ ليس في الجنة الشمس التي هي دليل على الظل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾. والظل في الجنة يأتي من شجرها الوارف الظلال، في غابات مدهامة شديدة الخضرة، أو يكون ظلًا من غير شجر، وأحكام تلك الدار ليست كهذه.



التشغيل والتفعيل

❖ عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَسَمَ الخلق قسَمين، فجعلني في خيرهم قسما، فذلك قوله: ﴿وَأَصْحَابُ اليمينِ مَا أَصْحَابُ اليمينِ﴾؛ فأنا من أصحاب اليمين، وأنا من خير أصحاب اليمين. ثم جعل القسَمين أثلاثا، فجعلني في خيرهم، فذلك قوله: ﴿فَأَصْحَابُ اليمينِ مَا أَصْحَابُ اليمينِ﴾، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾؛ فأنا من السابقين، وأنا من خير السابقين... الحديث».

❖ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرأوا

إن شئتم ﴿وَزَلَّيْمَةٌ دُورٌ﴾. وهو ملائم لكون ظل الجنة لا يحتاج إلى شجر معهود، وإنما الحديث يبين عظم شجرة خاصة بالجنة، وهي غير الشجر المعروف في الدنيا.

❑ عن أبي أمامة قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله تعالى ينفعنا بالأعراب ومساءلهم؛ أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله، لقد ذكر الله تعالى في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها! قال: وما هي؟ قال: السدر، فإن له شوكة! فقال رسول الله ﷺ: أليس الله يقول: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ خضد الله شوكة، فجعل مكان كل شوكة ثمرة، وإن الثمرة من ثمره تفتق عن اثنين وسبعين لونا من الطعام، ما فيها لون يشبه الآخر».



٠٠ من الفكر إلى الفعل

٠٠ المسلم حريص أن يكون دوماً من أصحاب اليمين، ومن أهل اليمن والبركة أينما حلّ، يذكر سيدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نعمة الله عليه قائلاً لقومه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾.

٠٠ لا يمين بلا إيمان، فمن رام أن يكون من أصحاب اليمين فليُصلح إيمانه، وليصحح عقيدته، وليُمتنّ توحيده لله تعالى، وليُسلم أمره له جَلَّ جَلَالُهُ.



قال الله تعالى:

وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ
وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾

بذور المعنى

❖ ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾: انتقلت الآيات من وصف الجنان والثمار، إلى وصف المشارب والمآكل؛ وسكب الماء صبّه وأجراه؛ أي يصلهم الماء الزلال مسكوبا رقراقا أينما كانوا، بلا تكلف انتقال أو حركة.

❖ الماء عند العرب في الصحراء نادرٌ وعزيز؛ وقلّ في إلفهم أن يكون الماء مسكوبًا من فوق، على صورة شلالاتٍ، أو أنهار تسكب الماء وتصبّه من عيون فوق الجبال؛ وليس في بيئتهم أنهرٌ دائمة، تجري بماء دائم مسكوب غزير، بل هم قد اعتادوا الوديان التي تنقطع

وتجفُّ؛ وتشويقهم بهذه الصورة فيها من الجمال والتحبیب ما لا يخفى.

❖ ﴿وَفَنَكِهَةٌ كَثِيرَةٌ ۖ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾: وصف الله تعالى

الفاكهة بالكثرة، وما قال عنه سبحانه عظيم أو كثير فهو بحق عظيم وكثير؛ لا كوصف البشر النسبي؛ فهي لذلك لا تنقطع ولا يُمنع منها أحدٌ من أصحاب اليمين؛ ذلك أنَّ النعمة قد تنقطع من الأصل، وقد توجد ولكن يمنعها عنك مانع من مرض، أو متسلط، أو حاجز...

❖ يقول الإمام الرازي: «قدّم نفي كونها مقطوعةً لما أنَّ

القطع للموجود، والمنع بعد الوجود؛ لأنها توجد أولاً ثم تُمنع، فإن لم تكن موجودةً لا تكون ممنوعة».

❖ وصفت فاكهة الجنات بأوصاف عديدة منها: ﴿وَفَنَكِهَةٌ مِمَّا

يَتَخَيَّرُونَ﴾، ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾، ﴿بِفَنَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾.

والجمع بين الآيات البيّنات يرسم لنا لونا بديعا من نعم الجنة الخالدة.



التشغيل والتفعيل

❖ روي موقوفا عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إنَّ الرجل

من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة، فيجيء الإبريق، فيقع في يده فيشرب، ثم يعود إلى

مكانه» ونفس الصورة تكون مع الطير الذي يشتهي أهـ الجنة، ففي الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه، فيجيء مشويًا بين يديك». والفاكهة من باب أولى لوصفها بأوصاف الكثرة في كل مرة تذكر فيها: كثيرة، مما يتخيرون، لا مقطوعة ولا ممنوعة، قطوفها دانية...

❑ والسؤال الجدير هو: هل كل نعم الجنة تكون من حولك متحركة حية، فإذا اشتيتها جاءتك، ثم إذا طعمت منها أو شربت، عادت إلى حالها: من مثل الفاكهة، والسّمك، والتمر...؟

❑ لا ريب أن لفظ «الاشتهاء» عامٌ وعلى إطلاقه، فقد يشتهي المرء هذه الصورة فتكون، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ﴾، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهُى الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾. والله أعلم.

❑ توالى التعبير عن الكثرة والوفرة بصيغ شتى في هذه الآيات، منها: مسكوب، كثيرة، لا مقطوعة، لا ممنوعة. ومعلوم أن الندره قرينة الثمين والغالي، والكثرة قرينة الرخيص والزهيد؛ لكن في الجنة لا تعارض بين كثرة الشيء وقيّمته.

٥٠ من الفكر إلى الفعل

٥٠ إذا لم تُقَطع عنك الفاكهة في الدنيا فاحرص أحياناً أن تمنعها عن نفسك؛ حتى تقدِّرها حقَّ قدرها، وتشتهيها فلا تملِّها؛ ذلك أنَّ الكثرة مع الوفرة مزيلاً للقيمة واللذة، وقد يكون مانعاً للشكر كذلك؛ والانقطاع والمنع أحياناً من أساليب التربية بخاصَّة للناشئة.

٥١ قيمة الجائزة والهدية والمكافأة لا تكون من ذاتها فقط، بل من كونها غير متوفرة لدى المجاز بها، وعزيزة عنده محببة، وأن لا تكون مما يكثر عنده ويتوفر على الدوام.

٥٢ فمن كان من بلاد النخل مثلاً، لا يهدى إليه التمر. ويقال في المثل العربي القديم: «كحامل تمر إلى هَجَر».



قال الله تعالى:

وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ
أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾

بذور المعنى

❖ ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾: الفرش العالية المرتفعة في الجنة، هي تعبير عن القدر والمكانة؛ أو هو رفع في القدر والشأن؛ وللرفع في البلاغة معنيان: مادي، ومعنوي يستدعي أحدهما الآخر. يقول سيد قطب: «يلتقيان عند الارتفاع في المكان والطهارة من الدنس؛ فالمرفوع عن الأرض أبعد عن نجسها، والمرفوع في المعنى أبعد عن دنسها».

❖ وُحِصَّتْ فُرُشُ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأوصاف كثيرة في القرآن الكريم: ﴿فُرُشٌ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾، ﴿رَقْرَقٍ خِضْرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾،

﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ...

﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾: أي خلقهنَّ الله تعالى خلقًا جديدًا، والضمير لحوور العين دلَّ عليه السياق؛ فهنَّ بلغة العصر: خلقتن متميزات وليس لهنَّ مثيل في مواقع أخرى، وفي مجالس أخرى. فصاحبهنَّ له تميُّز «الخصوصية والأصالة» فلا أحد يشاركه في النوع والنشأة، ولا في الشكل والصفة. والله تعالى قادر أن يعطي كلَّ واحد نعمًا ليست كالتي للآخر، ولا يعجزه ذلك، فهو سبحانه ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾: أي هنَّ دائما أبكارًا، ولا تصير الواحدة منهنَّ ثيبًا حتى بعد أن يلامسها الرجل؛ فالنعمة خالدة في الجنة، لا يُصيبها القدم والبُهوت والفساد. أي أنَّ الرجل في كلِّ مرة يجدهنَّ أبكارًا، لم يطمثنَّ أحدٌ؛ ويستمتعُ بهنَّ على تلك الحال. وللمرأة مثل ذلك في زوجها، إذ لا ضعف، ولا نقص، ولا عجز في ربوع جنة النعيم.

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾: العُرب جمع عَرُوب، وهي المرأة المتحبيبة إلى زوجها، الحسنة التبعل والعشرة الزوجية. ولا يقال عروبة؛ لأنَّ الوصف خاصٌّ بالنساء دون الرجال لغته، أمَّا معنَى فالتحبُّب بين الأزواج محمّدة في الدنيا وُخلة حسنة، ومُتعة في الآخرة وجزاءً حسن. وقيل

العروب هي المرأة الحسنة الكلام.

❖ والأتراب، جمع ترب، المماثل في السن، وأكثر ما يستعمل في المؤنث: كلهن من سن واحدة، أو مماثلات في السن لأزواجهن. فلا يصيبهن العجز والكبر والذبول وذهاب الجمال، شأن نساء الدنيا.



التشغيل والتفعيل

❖ أغلب التفاسير ذهبت إلى أن النساء في هذه الآيات هن نساء الدنيا، وفسروا الآيات بناءً على هذه المقدمة؛ ولكن، لا دليل على حصرهن في نساء الدنيا؛ فقد يكون المعنى منصّباً على الحور العين، بل الراجع أنّهن المعنيات بالآية؛ ذلك أن الله تعالى خلقهن وأنشأهن من جديد: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ ونساء الدنيا أنشئن نشأة ثانية. والله أعلم.

❖ في بيان معنى «وفرش مرفوعة» قال البعض: «المراد بالفرش النساء» وحجّتهم في ذلك ضمير الآية الموالية: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾، ودليلهم قول العرب عن الجارية الداخل بها سيدها: صارت فراشا. والصواب أن هذه الصفة خاصّة بالجواري دون الحرائر، وليس من البلاغة وصف نساء الجنة بصفات الجواري، بل هنّ من الحرائر.

ثم إنَّ الضمير يحدده السياق، وذكرُ الفرش دالٌّ على ذكر ما يكون عليها من حور عين.

□□ لما سمعت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا الآية: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾، وسمعت قول النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ كُلَّمَا جَاءَ زَوْجَتَهُ وَجَدَهَا بَكْرًا» قالت: واوجعاه! فقال لها النبي ﷺ: «لا وجع يومئذ».



• من الفكر إلى الفعل

• تحبُّ الزوج إلى زوجته، وتحبُّ الزوجة إلى زوجها؛ من صفات الأزواج الصالحين فيما بينهم؛ والتبغض والشأن بين الأزواج من أمارات العذاب الأليم، وهو مقدمة لشر وفساد كبير. ليس أقله خيانة الواحد منهم للآخر.

• كل فراش في الدنيا جاء من حرام، أو استغلَّ في حرام، فهو وضع نجس دنس؛ وكلُّ فراش من حلال في حلال، فهو مرفوع حسا ومعنى، وهو مقدمة لرفعة دائمة في جنة النعيم: ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾.

• الزوج الصالح هو الذي لا يخون زوجته في فراشها، والزوجة الصالحة هي التي لا تخونه في فراشه: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظْنَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾. وليس شيئا أدعى لنسف أو اصر الزوجية من الخيانة الزوجية؛ ولهذا نزلت آيات اللعان في أوائل سورة النور.



قال الله تعالى:

لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ
مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

بذور المعنى

❖ ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: أي كلُّ النعم التي سبقت هي لأصحاب اليمين جزاءً شُكُورًا، وليست حقًا واستحقاقًا، إلا تفضُّلاً من الله تعالى؛ وهو تأكيد لما جاء في صدر هذه الآيات ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾، وتذكيرٌ بمستحقِّيها ليعتبر القارئ، ويجتهد في بلوغ مقامهم، إن عجز عن بلوغ مقام السابقين المقربين.

❖ ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾: فئة كثيرةٌ من أهل الجنة هم من الأولين، وفئة كثيرة هم من الآخرين؛ باعتبار الأولية والآخيرية: من عامَّة البشر، أو من أمَّة

محمد ﷺ، أو هم سابقون وأهل يمين وأهل شمال في كل زمان ومكان، ومع كل عبادة وطاعة هناك فرصة للسبق، وفرصة للحاق، وإمكان للإخفاق؛ وهم في هذا الصنف متساوون في العدد، وكانوا في الصنف الأول كثرة للأولين وقلة للآخرين، وسيكونون في أهل الشمال، قلّة من الأولين وكثرة من الآخرين.



التشغيل والتفعيل

❏ لم ينوّه الله تعالى بأعمال أصحاب اليمين كما هو الشأن مع السابقين في قوله: ﴿جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ لا لأن أعمالهم لا ترقى إلى مقام أعمال السابقين، لكن لكون ذلك مستفادا من السياق؛ وإلا فإن الله تعالى في سورة الحاقة، في مقام ﴿مَنْ أَوْفَىٰ كُنْتَهُ بِيَمِينِهِ﴾، قال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.

❏ لا خلاف أن جميع الأنبياء والرسل هم من السابقين، وهم أرفع شأنًا من أصحاب اليمين؛ ذلك أنهم سابقون في الإيمان، قريبون من الرحمن، مصطفون مختارون لمهمّة الوحي وهي أعظم مهمة نزلت من السماء إلى الأرض.

من الفكر إلى الفعل

- ❦ «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى». نسأله تعالى أن يجعلنا من السابقين، وإن لم نكن منهم فنسأله أن ينزلنا منزلة أصحاب اليمين؛ ونعوذ بالله أن نشقى فنكون من أصحاب الشمال.
- ❦ من يتلو هذه الآيات، فليجتهد، وليسأل الله تعالى أن يجعله من أصحاب اليمين، وليخلص في ذلك دعاءه لله؛ وأول أمارات الاستجابة طاعة الله تعالى فيما أمر.
- ❦ ليكون الواحد من أصحاب اليمين في الآخرة، عليه أن يكون مع «أصحاب اليمين» والحق والإيمان، في الدنيا. وهذه من تلك.
- ❦ في كل وقت ومكان، ومع كل عبادة، «فرصة للسبق، وفرصة للحاق، وفرصة للإخفاق».



قال الله تعالى:

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿41﴾ فِي سَمُومٍ
وَحَمِيمٍ ﴿42﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿43﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿44﴾

بذور المعنى

- ❑ ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾: هم المنحرفون عن خطِّ الإيمان، المتمردون على الله ورُسُلِهِ، المنغمسون في أجواء الشّهوات والمعاصي؛ عجباً أين مقامهم يوم القيامة؟ وصيغة التعجّب بـ «ما» لتعظيم خطر ألوان العذاب التي تُصيبهم، وأشكال الشقاء التي لا تخطئهم.
- ❑ ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾: السّموم هو الحرّ الشديد الذي ينفذ من مسامّ البشرة، أو الريح الحارّة الجافّة المؤثرة تأثير السّم في الجسد، وهي مُمرضة أو قاتلة غالباً؛ وما من ريب أن سموم الآخرة لا يشبه سموم الدنيا

إلَّا فِي الْاسْمِ .

❏ ﴿وَحَمِيمٍ﴾: الحميم هو المطر الذي يأتي بعد أن يشتدَّ الحرُّ، أو هو الماء الحارُّ البالغ مداه في الحرارة والسخونة. أي أنَّ مع الريح الشديدة شدَّة الحرارة، أو بعدها تساقط عليهم أمطارٌ حارَّة؛ أو أنَّهم لا اشتداد الحر يطلبون شراباً فيسقون ماءً مغلَّى ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾، ﴿فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيمِ﴾ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهَيْمِ﴾ .

❏ ﴿وَزَلِيلٍ مِّنْ يَّحْتَوِي﴾: اليحموم هو الشديد الحرارة في كلِّ شيء، وهو الأسود من كلِّ شيء، وهو الدخان الأسود الحار؛ وظلُّ جهنم يوصف بجميع هذه الأوصاف - نعوذ بالله منه - فهو أسود على شكل دخان، وهو حارُّ شديد الحرارة؛ في مقابل ظلِّ الجنة الممدود ﴿وَزَلِيلٍ مَّدْوَرٍ﴾، والظليل ﴿وَنَدَّخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ .

❏ ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾: كأنَّ المشهد يصف ما يتوقَّعه المعذب حين يرى الظلَّ من بعيد، فيظنُّ أنه سيكون عليه بارداً أو كريماً لطيفاً؛ ثم يأتي الجوابُ مُبَكِّتاً مُسَكِّتاً «لا باردٍ» فهو حارٌّ ملتهبٌ؛ ولا كريم، أي لا راحة فيه ولا كرامة ولا استراحة؛ فهو من قبيل العذاب النفسيِّ بعد تجرُّع العذاب الماديِّ. ويحتمل أن يكون المعنى: لا كريمٌ أهلُه بل هم مهانون.

❏ الحكمة من ذكر السَّموم والحميم دون ذكر النار؛

كأنه قيل: أبردُ الأشياء في عادتكم أي الهواء والماء هي أحرُّها عند أهل الشَّمال في جهنَّم، فكيف حالهم مع أحرِّها؟



التشغيل والتفعيل

❑ أثر النطق بحرف الحاء في قوله سبحانه: ﴿ فِي سَمُورٍ وَحَمِيمٍ ٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَمُورٍ ﴾. توحى بأجواء من الألم، والذي يقوله المتألم غالبا هو «أح، أح...» وفي مصادر اللغة: أحد المرء اشتدَّ عطشه؛ وأح حكاية صوت الساعل أو المتوجِّع.

❑ قال الضحاك: «العرب تجعل الكريم تابعا لكل شيء نفت عنه وصفا تنوي به الذم، تقول: ما هو بسمين ولا بكريم، وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة» وعلى هذا الأسلوب جرت آية: ﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾.

❑ في منطقة معشور بإيران، سُجلت درجة الحرارة صيف 2015م بـ74 درجة مئوية. وفي صحراء الجزائر، بمناطق عين صالح تتجاوز غالبا الخمسين درجة، وأحيانا تفوق الستين. ومع ذلك يمكن أن نعتبرها باردة كريمة إذا ما قيست بسموم النار وحميمها. نسأل الله النجاة من النار.

تصل درجة الحرارة في إكليل الشمس، أي في الطبقة الخارجية (جلد الشمس)، إلى نحو 2 مليون درجة فهرنهايت (1,1 مليون درجة مئوية). وتصل أعلى سرعة للرياح الشمسية عبر الثقوب الإكليلية إلى 500 ميل (800 كيلومتر) في الثانية الواحدة.



• من الفكر إلى الفعل

• حرُّ الدنيا وعطشها عبرةٌ للمؤمن حتى يستعيد بالله من سموم الآخرة وحميمها.

• للصوم دور المربي حتى يتذكر الإنسان العطش، وتزداد حاجته إلى الماء وإلى الطعام؛ ومن ثم يعرف قدر الله تعالى الذي يسقيه ويطعمه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾.

• طبع الإنسان أنه يقبل المجلس الكريم ولو كان رديئاً، ولا يقبل المجلس الحسن مع إهانة تلحق به.

• قال رسول الله ﷺ: ما سأل رجل مسلم الله عز وجل الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ولا استجار من النار مستجيراً ثلاث مرات إلا قالت النار: اللهم أجره من النار.



قال الله تعالى:

إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى
الْحَنِثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾

بذور المعنى

❖ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾: استشكل فهمُ التعليل على من فسّر الترف بأنه العيش في رغدٍ وفي تنعم؛ ذلك أنّ الترف ليس في ذاته مذمومًا، وأنّ الكفّار أصحاب الجحيم ليسوا جميعًا من المترفين بهذا المعنى؛ ولكن يرتفع الإشكال بتفسير الترف بترف النعمة، يقال أترفته النعمة أي أطعته وأفسدته، وكذا أترفه المأل إذا حمّله على الفساد والظلم.

❖ فهؤلاء الذين سماهم الله تعالى ﴿وَأَصْحَابُ السَّمَالِ﴾. عاشوا في الدنيا بطر النعمة وطغوا بها، ولم يشكروا الله

عليها، ونسوا الله بسبب ظلمهم فلم يعبدوه، وألهتهم الأموال والبنون، والتجارات والضياع، عن العبادة والطاعة؛ فكان هذا مصيرهم المحتوم.

❏ ﴿وَكَاؤُوا يَصُرُونَ عَلَى الْخِنثِ الْعَظِيمِ﴾: الحنث مطلقُ الذنب أو هو الذنب العظيم، حنث اليمين نقضها ونكثها، والحنث أن يقول الإنسان غير الحق، أو الحنث الشرك؛ وهؤلاء كانوا في إصرار شديد على المعصية، وعلى نقض العهود، وعلى قول الباطل؛ وأكبرُ عهد نقضه هو «عهد الإيمان بالله تعالى»، وأكبر باطل اجتراحه إعراضهم عن ربهم الكريم؛ فعصوا ثم أصرّوا على معصيتهم؛ والحنث عظيم في أصله، والإصرار عليه يزيده قُبْحًا، فكان بذلك حنثًا عظيمًا.

❏ الإصرار في أصول الدين هو «الإقامة على الذنب، وعدم الإقلاع عنه، وعدم التوبة منه» وفي الصغائر زاد البعض شروطًا ليكون إصرارًا، منها: إتيان الذنب عمداً، اعتقاد المعاودة للذنب، الاستخفاف بنهي الله تعالى واستصغار المعصية، معاندة الله سبحانه، عدم الندم، أن يستتاب صاحب الذنب ويصرح: لا أتوب، الموت قبل التوبة.

❏ أمّا الإصرار على الكبيرة فهو مهلكة وصاحبها على خطر كبير، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ



التشغيل والتفعيل

❏ الذي يُوَدِّي حَقَّ الله تعالى بماله، ولا يكفر الله بل يشكره، ويسخرُ النعم التي أنعمه الله تعالى بها لنيل رضاه؛ ولو كان أغنى الأغنياء لا يُسَمَّى مترفاً؛ ذلك أن الترف قرين الفسق والفساد: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ .

❏ جميع الناس منعمٌ عليه، حتى ولو كان من أفقر الفقراء، فإنَّ جملة النعم التي تغمره ليست بالهينة؛ ومن ثم فهو مأمورٌ بشكرها وحمد الله عليها؛ وجميعُ الناس إذن، يمكن أن يكون شاكراً أو كفوراً، مترفاً أو كريماً.

❏ قال الإمام الرازي: «الله تعالى (في كلامه الحكيم) عند إيصال الثواب لا يذكر أعمال العباد الصالحة (عادة)، وعند إيصال العقاب يذكر أعمال المسيئين؛ لأنَّ الثواب فضلٌ، والعقاب عدلٌ؛ والفضل سواءٌ ذكر سببه أو لم يذكر لا يتوهم في المتفضَّل به نقص وظلم؛ وأمَّا العدل فإن لم يعلم سبب العقاب يظنُّ أنَّ هناك ظلماً». والحال أنَّ هذه قاعدة كلية تفيد في التربية بخاصَّة؛ مع التوسُّع إلى ضرورة أن يذكر للتلميذ سبب

نيله الثواب، وسبب استحقاقه العقاب؛ فالأول لئلا
يفتح بابا للشك لدى التلاميذ الآخرين، والثاني لئلا
يفتح بابا للحقد عند التلميذ المعاقب.



• من الفكر إلى الفعل

• مهما كان الذنب صغيرا أو كبيرا، فإنَّ المسلم من يندم عليه، ولا يستسهله، ويسارع إلى التوبة قبل فوات الأوان.

• ليس الغني مترفا إذا شكر الله على رزقه، وأدى حقوق ربه وحقوق العباد كما أمر، ولم يطغ ولم يتكبر بماله؛ فلنقرن كلَّ نعمة بحمد الله سبحانه وشكره، فالشكر والحمد مقيِّدان للنعم.

• مما ورد من حديث نُسب لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار».

• قاعدة كلية: صدور الكفران ممن عليه غاية الإنعام أقبح القبائح.

• طلب الغنى بلا وازع من إيمان وإحسان يورث فقرا دائما. وارتياح الارتفاع بلا ضابط يورث الحطَّ من القدر.

• للقراءة: فريق البحث لجمعية التراث: «معجم مصطلحات الإباضية».



قال الله تعالى:

وَكَاثُوا يُقُولُونَ أَيَّدَا مِنَّنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيَّنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

بذور المعنى

﴿وَكَاثُوا يُقُولُونَ أَيَّدَا مِنَّنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيَّنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾: كان أصحابُ الشمال في دنياهم، متمادين في إنكار البعث، وهم مداومون على الجحود مقيمون فيه: ﴿وَكَاثُوا يُقُولُونَ﴾، لا «قالوا مرّة واحدة»؛ وقد يكون قولهم هذا تفسيراً للمعنى «الحِثُّ العظيم» تفسير بيان وتمثيل.

﴿وَكَاثُوا يُقُولُونَ﴾: وهم إنما استبعدوا أن يُبعثوا بعد أن يتحوّلوا إلى تراب، لا بحجة عقلية أو دليل مقبول، وأنى لهم ذلك، وقد سقط في أيديهم؛ وإنما قالوه استنكاراً واستهتاراً

وكفراً؛ ثم إنهم ما داموا لم يُعَدُّوا لذلك اليوم العدة، فإنهم يتعلَّلون بأنه لا بعث: لا جزاء، ولا حساب، ولا عقاب.

❖ ونظيره حجاجهم السخيفُ وقولهم: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، فكان الجواب: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾. ولا ريب أن الخلق الأول من العدم أصعب؛ أمّا إعادة الخلق فذلك أيسر، هذا في مطلق البشر الضعيف؛ ولا يقال صعبٌ أو يسيرٌ في حق الله تعالى؛ فهو سبحانه مطلق القدرة لا يعجزه شيء: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

❖ ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾: أي، وهل كذلك يُبعث آباؤنا الأولون بعد أن ماتوا وصاروا تراباً؟ وسؤالهم ليس سؤال استفهام أو تعلُّم، وإلَّا لعلُّموا ولأدركوا الحقَّ فاتبعوه؛ إنما هو سؤال كفرٍ وجحودٍ، ولا يعلم جاحد ولا متكبر.

❖ ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾: قل يا محمد، أو قل يا أيها الذي يجادل الجاحدين جميعاً إلى يوم الدين: إنَّ الأولين والآخرين عند الله سواء؛ فهم سيموتون، ثم يُبعثون، ثم يُجمعون في يومٍ معيَّن معلَّم، وهو معلوم عند الله تعالى، لا يعلمه على التعيين إلَّا هو.

❖ أو هو معلومٌ بلا تعيين عند المؤمنين به، الذين

يطلبون الحقَّ ولا يتنكَّرون له، فهم يعلمون بوجوده علم اليقين، والأدلة على ذلك لا تخفى على العقل؛ ولكن لا يعلمون متى هي.



التشغيل والتفعيل

الميقاتُ: هو الوقت والزمانُ المضروبُ للفعل، وهو الموعد الذي جعل له وقتٌ، وهو كذلك للمكان: الموضع الذي جعل للشيء يُفعل عنده. وهو هنا ميقاتٌ زمنيٌّ لا مكانيٌّ. وفي أحكام الحج مثلاً، ثمة ميقات زمنيٌّ، وميقات مكانيٌّ.

لو تأمل الإنسان لوجد أن جمع الناس في ﴿يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ على صعيد واحدٍ للحساب، أمرٌ يعجز العقل عن إدراكه، وتصوُّر كلفيته؛ ولنا أن نتخيل ملايين من الناس، من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى آخر إنسان يغادر الدنيا عند قيام الساعة، وهم واقفون محشورون مجموعون على صعيد واحدٍ، يحاسبون واحداً واحداً؟! ربَّنَا عرفنا قدرك، فأمتنا وأنت راضٍ عنَّا، يا رحمن.

من العلوم المفيدة التي غفل الناس عنها «علم المواقيت» وهو علم تُعرف به حدود الأيام والليالي وأحوالها، وكيفية التوصل إليها، ومنفعة هذا العلم معرفة أوقات

العبادات، وتوخي جهتها، واستكثار الأجر منها... أمّا
«الدراسات الزمنية» بكلّ تخصصاتها فهي كثيرة، وقد
تطورت في السياق الغربي، بعد أن كان المسلمون
هم روادها ثم تخلفوا وتقهقروا.



• من الفكر إلى الفعل

• من الأدب أن يسأل الإنسان ليتعلم ويعمل، لا ليجادل ويناظر، أو ليباهي ويماري؛ فهناك فرق بين الاستفتاء والمناظرة، فالمناظرة لها مجلسها وشروطها، أما الاستفتاء فهو سؤال للاسترشاد وطلب العلم، أو حل إشكال... وأهل النار كانوا يسألون صلفاً وسوء أدب، ولو سألوا تعلموا وحسن خلق لما ضلوا.

• للقراءة «نثار الأزهار في الليل والنهار» لابن منظور. و«التوقيت والتقويم» لعلي حسن موسى. و«أصول البرمجة الزمنية» لمحمد بابا عمي.



قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ 51 لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّن رَّقُومٍ 52﴾ فَمَا لَوْ مِنْهَا الْبُطُونَ
 ﴿53﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿54﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ ﴿55﴾ هَذَا نُزِّلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿56﴾

بذور المعنى

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾: التفاتٌ بليغٌ من أسلوب الخطاب للرسول ﷺ أو للمؤمنين واحداً واحداً، إلى خطاب الضالين المكذِّبين من مشركي مكة أو من المشركين عامّة. وهو التفاتٌ يحمل معاني التقرّيع والتهديد والوعيد، تذوّب لسماعه القلوب لو كانت بها أثاره من حياة. كونُ الخطاب من الله تعالى هو أشدُّ وقعاً، من أن يكون مواصلة لكلام رسول الله ﷺ، وإن كان هذا وارداً وممكناً.

﴿لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّن رَّقُومٍ﴾: ذكر الله تعالى شجرة الزقوم في

آيات وسور يفسر بعضها بعضا، منها: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامٌ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كغلي الحميم﴾، ووصفها الله تعالى بأنها ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾، وأنها ﴿طَعَامٌ الْأَثِيمِ﴾. وهي شجرة تنمو في جهنم، ولا تأكلها النار؛ وهي عقاب للكفار، إذا جاعوا لم يجدوا ما يأكلون إلا ثمارها. وهي لا تزيدهم إلا ألما ووجعا وعذابا.

❏ ﴿مَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾: قال رسول الله ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم». فكيف بمن لا يجد إلا شجرة الزقوم طعاما له، ويملاً منها بطنه، فتقطع أمعاءه.

❏ ﴿فَسَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾: الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾. يعود على الزقوم، أي فشاربون على الزقوم عقب أكله من الماء الحار، أي من الحميم. ويجوز أن يعود الضمير إلى ﴿لَاكُونَ﴾. أي فشاربون عقب الأكل.

❏ ﴿فَسَرِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ﴾: الهيم هو داءٌ يصيب الإبل في رؤوسها، حتى يشتد بها حبُّ شرب الماء، فلا تزال تشرب حتى تموت أو تسقم. ولذا سميت الأرض الرملية التي لا ترتوي بالماء «هيمًا»، وسمي العاشق «هائمًا»؛ فهو كالمجنون في العشق، ينتهي به حبه إلى سقم أو موت.

❏ في مقابل ﴿وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ﴾. لأصحاب اليمين، يسقى

أصحاب الشمال الهيم، وهم مع ذلك يطعمون الزقوم؛ فتناهى عذابهم في الشدة، وصعب حتى تصوّره بمقاييس الدنيا، فكيف بمقاييس الآخرة.

❏ ﴿هَذَا نَزْنُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾: أي ما سبق ذكره من أنواع العذاب هو حظهم ونزلهم يوم القيامة؛ والنزل ما أعد للضيف من ألوان الطعام والشراب؛ والنزيل الضيف. فهذا الذي أعد لهم يُستضافون به، وهو إمعانٌ في تعذيبهم معنوياً بالتهكم منهم، بعد أن عذبوا حسيّاً ومادياً، بما أكلوا وما شربوا؛ والعذاب النفسيُّ أشدُّ عليهم وأقسى.



التشغيل والتفعيل

❏ قال تعالى في هذه الآية: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَا الضَّالِّينَ الْمُكذِبِينَ﴾، وفي آخر السورة قلب بين الوصفين: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾؛ والتقديم والتأخير في كلام الله تعالى يبني معاني جديدة، فليست الآيتان متطابقتين. هذه الآية خطاب للكفار، والتي في آخر السورة إخبار للنبي ﷺ عن حالهم؛ فكان ضلالهم سبب شقائهم، وكان تكذيبهم سبب ضلالهم، فكأن في الآية تدرج تنازلي؛ أمّا هنالك، فإنّ علاقتهم بالنبي ﷺ متعدية، وهي التكذيب، ثم إنّ تكذيبهم ورثهم الضلال، وضلالهم

كان سببا في هلاكهم، هذا تدرج تصاعديّ.
 □ ينفر الطبع من سماع كلمة «زقوم»، وفي جرسها جرحٌ
 للأذن، وتهديدٌ للفؤاد، وإيدانٌ بشرٌّ وقبح وفسادٍ.



٥٠ من الفكر إلى الفعل

٥٠ ملء البطن بالطعام مما نهى عنه الشارع، وفيه ضررٌ شديدٌ، قال رسول ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن، بحسبِ ابنِ آدمَ أَكَلَاتِ يُقِمِّنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ: فَثَلْثَ لَطْعَامَهُ، وَثَلْثَ لَشْرَابَهُ، وَثَلْثَ لِنَفْسِهِ».

٥١ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْكُلُ كَثِيرًا فَأَسْلَمَ فَكَانَ يَأْكُلُ أَكْلًا قَلِيلًا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَإِنَّ الْكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ».

٥٢ من ملأ بطنه في الدنيا بالحرام، كان ألزم به يوم القيامة أن يملأه بالزقوم؛ فلنتحرر الحلال في طعامنا وشرابنا.

٥٣ ثنائية التكذيب والضلال لها تمثل في التربية والتعليم، بخاصة أن السياق محدّد، ولها تطبيق على الثواب والعقاب.

٥٤ للقراءة: بحث «الأطعمة المصنعة الحديثة .. بين التأصيل الشرعي والتحليل العلمي» لباحمد ارفيس.



قال الله تعالى:

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾
ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾

بذور المعنى

❏ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾: الله تعالى خلقكم أيها المكذبون، وخلق الكون كله من أجلكم، لتطيعوه وتعبُدوه؛ فلم تفعلوا بل كفرتم وجحدتم.

❏ ويجوز أن يكون الخطابُ لعامة الناس أو للمسلمين، ذلك أن مسألة الخلق مسلّم بها لله وحده، لا يدّعيها أحد، والمعنى: نحن الذين خلقناكم، هذه حقيقة، فلا تصدّقوا الضالين الجاحدين الذي ينكرون الخلق، أو ينسبونه لغيري.

❏ ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾: تحضيضٌ وحثٌّ على التصديق؛ ما دامت

الساعة لم تقم بعد؛ لعل ذلك يُفيد من اهتدى قلبه،
وتاب من غيئه؛ فالله تعالى قادر على الخلق، وهو قادر
على البعث؛ وسيان عنده هذا وذاك.

❏ حاصل الآية قول الله تعالى: نحن خلقناكم، ونعلم
منتهاكم، نشأتكم الأولى ونشأتكم الآخرة؛ فهلاً
صدّقتم ولم تكذبوا، وهلا آمنتم ولم تكفروا؟

❏ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَنَسْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾: الإماء قذف
المني وصبه في الأرحام، وسمي منياً لأنه يمني أي
يراق؛ قال تعالى: ﴿الرَّبِّكَ نُظْفَةٌ مِّن مَّيِّ يُمْنَى﴾؛ وهي الصيغة
التي أرادها الله تعالى للإلقاح بين الرجل والمرأة،
ومنه يأتي الجنين، ثم يولد، فيكبر.

❏ يقال في العربية أمني الرجل إذا أنزل عن جماع،
ومنى إذا أنزل عن احتلام.

❏ ولا أحد يدعي صنع المنى، أو إيجاده من سبيل غير
خلق الله تعالى له. ولذا لا ينتظر الجواب، ولا أحد
يدعيه؛ وإنما يكون من المنصف التصديق، ومن الجاحد
التكذيب.



التشغيل والتفعيل

❏ يعلم كلُّ الناس أنّ دور الرجل قذف المنى، ودور

المرأة استقباله؛ ثم يبدأ الجنين في التشكُّل؛ ولا دخل لأحد في حياته أو موته، في شكله أو فسادِه؛ وحين يولد لا دور لأحد في شكله أو لونه أو سعادته أو شقائه... والتصرفات الطبية في الجنين، هو نوع من التدخل المحدود، في زمان ومكان وحال محدود؛ ولا تدخل في مرحلة «الحياة» الأولى ونفخ «الروح».

❑ حين قال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ قال الجاحدون: إنما خلقنا من نطفة، ومن مني، وإذا عرف السبب زالت الحاجة إلى أن ننسب خلقنا لإله. فجاء الجواب من الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ وسواء رأوه أم أعرضوا عن رؤيته رؤية معنوية، فالسؤال بعد ذلك: هذا المنى العجيب أمره ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ولا أحد منهم يدَّعي خلقه، فبُهِتَ الذين كفروا.

❑ ولكأنَّ الآية نزلت ردًّا على البشرية في مرحلة كفرانها، وهي تقول بـ«نظرية التطور» وتنفي وجود إله خالق مريد مؤثر على الكون والإنسان.

❑ علم الأجنة (Embryology): هو علم يدرس الجنين في جميع مراحلِه: بدايته، تشكُّل أعضائه، وآليات تناميهِ ونموهِ، والعوارض التي تعترض ذلك النمو.

❑ يقول كيث مور، عالم الأجنة الكندي، الذي أسلم: «إنَّ التعبيرات القرآنية عن مراحل تكوُّن الجنين في

الإنسان لتبُلُغ من الدقَّة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث، وهذا إن دلَّ علي شيء فإنما يدل على أنَّ هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله، وأنَّ محمدًا رسول الله».



• من الفكر إلى الفعل

- البحث في علم الأجنة بحث عزيز، له فوائد لا تحصى، شريطة أن يكون بروح إيمانية، وأفق علمي راق؛ حتى يكون مفيداً لا ضاراً.
- يتجاوز الأمر بالرؤية في القرآن الكريم المستوى الأول، إلى مستويات معرفية، وعلمية، وإيمانية، وفكرية رفيعة المقام.
- للقراءة: مؤلفات ومقالات كيث مور، ومنها ما ترجم إلى العربية.
- للتوسع: «الجمع بين القراءتين: الوحي والكون» لطفه جابر العلواني رَحِمَهُ اللهُ.



قال الله تعالى:

نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ
 أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ
 فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

بذور المعنى

﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ﴾: بعد عرض أمر الخلق والإحياء، يحذّرنا الله تعالى أن نغترّ ونتوهّم الخلود؛ فالله تعالى قدّر في الأزل أن يكون الموت «بينكم» أي بين بني البشر؛ وأن تسلب منهم الحياة، ولا أحد من الناس يكتب له الخلود؛ حتى رسول الله ﷺ، ولا مطمع في ذلك.

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾؛ ذلك أن ميلاد طفل بعد مروره بمراحل الحمل، هو انتقاء لحياة واحدة من بين

الملايين من الاحتمالات التي لا تنفذ ولا تخصّب.

❏ ﴿وَمَا مَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿١٠﴾ عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾: ليس أحد يقهر الله تعالى أو يغلبه أو يملك أن يعترض على حكمه وإرادته، ولا تسبقه سبحانه الأسباب بل هو خالق الأسباب ومقدرها؛ فهو القادر على أن ﴿يُدْهِبَكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، أي الله قديرٌ أن يخلق غيرنا مكاننا، سواء بأمر مباشر: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، أو باختيار آخر في الحمل عوض أن نكون نحن الاختيار الذي يولد؛ أو ينشئنا في حال وصورة لا نعلمها، وقد تكون صورةً قبيحة بعد أن جعلها الله تعالى صورة حسنة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفِيلِينَ﴾.

❏ الأمثال في الآية إمّا معناها خلقٌ آخر غيركم، أو المثل بمعنى الوصف؛ فيكون التبديل بقوم آخرين، أو بوصف آخر. ولكل معنى توجيه عملي، يفرض النظر والعبارة.

❏ ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا؛ فلا أحد يسبق الله تعالى فينفلت من الموت؛ بل جميع الخلق سيُبعث، وسينشأ النشأة الآخرة؛ وهي النشأة التي كذب بها المجرمون، وصدق بها المؤمنون.

❏ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾: بمعرفة النشأة والخلق

الأول الذي فصل فيه من قبل يستدل العقل على حقيقة النشأة الثانية أو البعث؛ هذا دليل على ذلك؛ والمسألة لا تحتاج إلى منطقٍ واسع وعلم غزير، وإنما هي في حاجة إلى إنصاف وتواضع؛ إذ الفطرة ناطقة بهذه الحقيقة بلسان بليغ.

❏ أو النشأة الأولى هي خلق آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، والنشأة الثانية هي خلقكم بالتناسل؛ وهو محل ذكرى وعبرة دائمة لكم، إن كنتم ممن تنفعه الذكرى.



التشغيل والتفعيل

❏ الموت ليس عدماً، وإنما هو سلبٌ للحياة؛ فالمعدوم لا يسمّى ميتاً، والميت لا يسمّى معدوماً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ﴾، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، أي الموت هو مخلوق خلقه الله تعالى وهو أمر يذاق؛ فالموت هو زوال الحياة عن كل كائن حيٍّ، ولا يوصف الكائن غير الحيّ مثل الجماد بالموت.

❏ يقول أبو حامد الغزالي: «اعلم أن للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطأوا فيها: فظن بعضهم أن الموت هو العدم، وأنه لا حشر ولا نشر... وظن قوم أنه يندم بالموت ولا يتألم بضار ولا يتنعم بثواب...»

وقال آخرون: إنَّ الروح باقية لا تنعدم بالموت، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد، وإنَّ الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلاً. وكلُّ هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق»

❏ الحدُّ الأدنى، أي أقل عدد مطلوب، لحدوث إنجاب من الحيوانات المنوية هو حوالي 15 مليون حيوان منوى في السنتيمتر المكعب الواحد (بناءً على نتائج الدراسات الطبية التي قدمتها منظمة الصحة العالمية "OHW"، وإذا لم يبلغ هذا العدد لم يحدث اللقاح، ولم يتم الإنجاب. فليس اكتمال العدد ملزماً للقاح، بل الأمر مشروط بمشيئة الله تعالى: ﴿فَنَفِّخْكَ فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾.



من الفكر إلى الفعل

٥٥ يجب أن نعتقد أنّ الله تعالى منزّه عن التعب، فلا افتقار لفعله إلى زمان، ولا زمان لفعله؛ وإنما سلطان الزمان يجري على المخلوقات لا على الخالق.

٥٦ تُعلّمنا هذه الآيات البيّنات التدرّج في الاستدلال، مثل أن نستدلّ على البعث بالخلق الأول، ثم نقيس به الخلق الآخر، وأنه تعالى لم يعجزه الخلق ابتداءً فكيف يعجزه الخلق استئنافاً.

٥٧ الإيمان بالبعث وبالغيب يعصم الإنسان من الجحود والكفران؛ يقول بديع الزمان النورسي: «الإيمان يضمُّ حقاً بذرةً معنويةً منشقةً من طوبى الجنة... أمّا الكفر فإنّه يُخفي بذرة معنوية قد نفثته زقوم جهنم... فالسلامة والأمان إذن لا وجود لهما إلّا في الإسلام والإيمان». ٥٨ للقراءة: «التوحيد» للنورسي.



قال الله تعالى:

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٦٧﴾

بذور المعنى

❏ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾: حرث الأرض هو: شقها بسكة لتصبح قابلة للزراعة والغرس، والحرث مكان الزرع وموضع استنباته.

❏ أمَّا الزرع فله معنيان: زرع الأرض أي إلقاء البذر فيها، وزرع الحب أي بذره في الأرض لينبت؛ أمَّا المعنى الثاني فهو إنبات النبات وإنماؤه.

❏ فالذي يملكه الإنسان هو أن يحرث الأرض، ويلقي البذر؛ أما الإنبات فهو من الله تعالى؛ ولا أحد ادعى أنه قادر على أن يمنح النبات صفة النماء، وأن يرعاه

فيخرج من الأرض نباتا كامل القوام. ثم بعد أن ينمو
الزراع ويزهر، هل يقدر الإنسان على حمايته؟

❖ الجواب ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾: لو نشاء أن لا تنتفعوا
به وبثمره، أو لو نشاء أن نحرمكم منه؛ فإننا سنجعله
حُطاما: أي يبسا لا نفع فيه، أو تبنا لا ثمار فيه، أو
هشيما لا أمل فيه، أو مكسورا محطما لا خير فيه.

❖ ﴿فَطَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: تفكّه معناه طلب الفكاهة، أو أزال
الفكاهة والمسرة عن نفسه، أو ندم على ما حصل، أو
قال كلاما لا يليق، وهو من أَلْفَاظ الأضداد؛ وجميع
هذه المعاني واردة؛ فإذا تحول الزراع حُطاما راح
الناس يطلبون الفكاهة في غيره، وزالت عنهم السراء
فحلّت بهم الضراء، ويندمون على ما حصل؛ وهم عند
ذلك يقولون كلاما قبيحا لا يليق، إذ لا يرذون السبب
إلى أصله.

❖ ﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ﴾: حين يتفكّهون يقولون: نحن واقعون في
ديونٍ وغرامات مترتبة على خسارتنا، وهي اللغة التي
يحلّل بها المحللون والمتفكّهون الجائحة في الزروع؛
ولا يعتبرون ذلك من الله تعالى، أو أنه امتحان وعبرة
لهم.

❖ ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾: هو استدراك، فنحن لسنا مُغرمين فقط،
بل نحن قد حُرِمنا جميع المنافع، وحلّت بنا جميع

النقم، فضاع رأس المال، والجهد، والثمرة.

❏ وفي قصة أصحاب الجنة من سورة القلم، قال المترفون حين تبين لهم ما حلَّ بجنّتهم، وحين طاف عليها طائف من ربك، قالوا: ﴿إِنَّا لَصَّالُونَ﴾، ثم استدرکوا فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ تماماً مثلما قالوا في هذه الآية.



التشغيل والتفعيل

❏ ذكر الله تعالى بعد دليل الخلق دليل الرزق؛ فدليل الخلق قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾، ودليل الرزق قوله جلَّ من قائل: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾؛ إشارة إلى أن دليل الخلق به الإيجاد من عدم، ودليل الرزق به البقاء، وبه صيانة الحياة.

❏ الفرق بين آيات الزرع وآيات الماء، أن الله تعالى قال في الأولى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَاهُ﴾ وفي الثانية: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ﴾. والجواب: أن اللام إذا دخلت على جواب ﴿لَوْ﴾. أفادت التوكيد، يقول فاضل السامرائي: «الماء ربنا يُنزله والأجاج يمكن أن يصير حلواً (تحلية الماء) ويمكن أن تنتفع به، أما الطعام الذي صار تبناً لا يمكن أن تستفيد منه أو تأكله، إذن أي العقوبتين أشد؟ الأولى

أى جعل الطعام حطامًا وهى الأولى بالتوكيد» ولذا جاءت اللام فى الطعام، ولم تأت فى الماء.

❏ غير أن تعليل الشيخ الشعراوى أكثرُ وجاهة، إذ الصواب أن عقوبة الحرمان من الماء أشدُّ من عقوبة الحرمان من الطعام؛ يقول الشعراوى: «الإنسان له دخلٌ فى عملية الزرع، حيث يحرث ويبذر؛ أمّا الماء فلا دخلَ لأحد فيه» فناسب التوكيد الأولى، وناسب عدم التوكيد الثانية

❏ فالسامرائى راعى التوكيد اللفظى، أما الشعراوى فاعتبر التوكيد المعنويّ.



• من الفكر إلى الفعل

• هل في منهجنا التربوي نعلم الناشئة النظر إلى خلق الله تعالى، ورؤية ما يحيط بهم من نعم، بعين بصيرة، وقلب متبصر؟ الآيات تعلمنا هذا المنهج.

• في التفريق بين الحرث والزرع بياناً لحدود قدرة الإنسان، ولحدود عجزه؛ ومن ادعى القوة والقدرة لنفسه، تكبر وتجبّر، وطغى وكفر؛ وهي حال كثير ممن يمارس العلم في عصرنا.

• للقراءة: «دلائل الإعجاز» في علم المعاني، للإمام عبد القاهر الجرجاني.



قال الله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

بذور المعنى

❏ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾: دعوة أخرى للنظر في بديع خلق الله تعالى؛ وذلك بصيغة الاستفهام الذي يعني: أخبروني هل رأيتم؟ ويعني: هل تأملتم ونظرتم ﴿الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾؟

❏ لماذا لم يقتصر الله تعالى على الماء مُطلقاً، بل حدّد الماء الذي تَشْرَبُونَ؟ ذلك أنه لا غنى لهم عنه، وهم يشربونه، ولو عدموه لهلكوا؛ فمن نافلة القول أنهم يرونه.

❏ ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾: المزْنُ هو السحاب الممطر

أو الذي يمكن أن يمطر، ويسمى علميا «السحاب الركامي»؛ والسؤال للناس أو للمنكرين: أنتم أنزلتم الماء من السحاب، أم أن الله تعالى هو الذي أنزله؟ ولذا خصَّ الله تعالى نفسه بأنه ﴿يُنزِلُ الْغَيْثَ﴾. وتحدى البشر أن يفعلوا ذلك.

❖ ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾: الماء الأجاج، هو الماء المالح الشديد الملوحة والمرارة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.

❖ ولو شاء الله تعالى لجعل الماء كله ملحا أجاجا، لا ينتفع به في شرب، ولا سقي؛ بخاصة أن 97% من مياه الأرض هي مياه مالحة؛ ولقد امتنَّ الله تعالى على عباده في سورة الرحمن أن المياه المالحة لا تبغي على المياه العذبة رحمة منه تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ يَنْهَمَا بَرْحٌ لَا يَبْعِيَانِ﴾.

❖ ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾: هلا شكرتم نعمة الله عليكم ولم تكفروها؟

❖ ما الفرق بين «أفلا تشكرون»، و﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾، و﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، و﴿فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾؟ متى وظف القرآن كلَّ صيغة من هذه الصيغ؟ للبحث.



التشغيل والتفعيل

❑ ثمة تلازم بديع بين خلق الإنسان وإنبات النبات؛ فبداية الجنين ماءً يمني، وبداية الزرع ماء ينزل من السماء؛ والجنين ينشأ في الرحم وهو أروضه، والزرع ينشأ في الأرض وهي رحمه؛ ثم يقع الاهتزاز والنمو؛ ثم الولادة للجنين والإنبات للزرع؛ لذا نقرأ ذلك حتى في مستوى المفردات في كلام الله تعالى، وكذا في مستوى السياق: فبعد عرض مراحل الحمل في سورة الحج مثلاً، قال سبحانه عن الزرع والإنبات: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

❑ فيما يخصُّ تجارب استمطار السحب العابرة؛ فإنَّ ذلك لا يعدو أن يكون تجارب لقدح زناد سحبٍ هي أصلاً ممطرة، يقول عالم الأرصاد الجوية «فاسي»: «لم يحدث أبداً، وهذا من المستحيل فعلاً، أن يتمكن إنسانٌ من إسقاط مطرٍ صناعي من سحابة لا تحتوي على ماء المطر أصلاً... ولا يفعل الإنسان سوى أن يعجّل نزول مطر هو نازل بالضرورة» وكذلك القول عن الجنين، والاستيلاد الطبيعي.

❑ الماء لا يستغني عنه خلقٌ من خلق الله تعالى يوصف

بالحياة، فالحياة قرينة بالماء، والماء شرط في كل نوع من أنواع الحياة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾؛ وحتى النار لا تكون لولا الماء الذي دخل في أصل تكوينها. ولذا اقترن البحث عن مخلوقات في العوالم الأخرى، خارج الأرض، بالبحث عن الماء.



من الفكر إلى الفعل

• كان رسول الله ﷺ إذا شرب الماء قال: «الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته، ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا».

• ثمة علاقة وطيدة بين الماء والطاعة؛ فالإيمان والتقوى والشكر من أسباب توفر الماء وعذوبته؛ والكفر والجحود والتكذيب من أسباب الجفاف وفساد الماء.

• ولا ريب أن السؤال: ما الحكمة من وجود الكفار في المناطق الأكثر وفرة للماء (كندا مثلا)، وبعض المسلمين في الأقل وفرة؟ هو سؤال إيماني جدير بالتوضيح والبيان.

• نعمة الماء العذب الشروب من أعظم نعم الله تعالى على عباده، والإسراف فيها، وإفسادها كفران لنعم الله سبحانه، أمّا المحافظة عليها، فهو من علامات شكر المنعم على جليل نعمته. جل شأنه، سبحانه.

• يجمل بكل إنسان أن يسأل نفسه، ويصدق في الجواب: كم أستهلك يوميا من المياه؟ وهل أنا مسرف أم مقتر أم معتدل في ذلك؟

قال الله تعالى:

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ
الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَلَعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾

بذور المعنى

- ❖ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾: أوري يوري إبراء النار أشعلها؛ وتورون النار أي تقدحون زنادها لإضرامها.
- ❖ ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾: أصل النار الخشب، وأصل الخشب الشجر؛ وحتى لو استخرجت النار من غير الخشب كالفحم الحجري، أو البترول، أو الغاز... أو غيره، فأصل جميع ذلك من الشجر، الذي تحوّل عبر ملايين السنين.
- ❖ والسؤال يبقى: هل أنتم خلقتهم وأبدعتم وأنشأتم هذه المواد من عدم؛ أم أن الله تعالى هو الذي أنشأها

وخلقها وأبدعها؟

❖ قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾، والسؤال هو: ترى من خلق النار؟ ومن أسكنها الشجر والحجر قبل أن تولد (توقد)؟ ثم من يميئتها فتخمد وتنطفئ؟ ومن يتحكم فيها، فيمنعها أن تجور على الناس وتحرقهم؟ لا ريب أن البحث العلمي حول النار مجال واسع للفكر والفعل.

❖ ﴿مَخْنُجَعْلَنَهَا تَذْكِرَةً وَمَتَعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾: النار التي تستعملون يومياً جعلها الله تعالى عبرة لكم تذكركم بنار جهنم، حتى تجتنبوا أسبابها؛ والتذكرة ضد النسيان والغفلة؛ فكم من إنسان يعامل النار يومياً في مطبخ، أو مخابر، فيها درجة الحرارة عالية جداً؛ ولكنه مع ذلك لا يتذكر ولا يعتبر.

❖ ﴿مَخْنُج﴾: أي الله تعالى هو الذي جعلها تذكرة ومتاعاً؛ ومن غيره خلق النار، ومن غيره جعلها كذلك؟ سبحانه لا شريك له في الخلق.

❖ ﴿وَمَتَعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾: المقوون هم الذي يدخلون القواء، وهو القفر، أو حين السفر تفسيراً باللازم، أو المقوي هو الجائع؛ ذلك أن الطعام تُصلحه النار. أي يستمتعون بوجود النار، ولو غابت لنالهم العنت والشقاء، سواء في مآكلهم، أو في التدفئة، أو في سائر استعمالات

النار والحرارة.



التشغيل والتفعيل

❏ لقد كان اكتشاف النار والتحكم فيها، من قبل الإنسان في القديم، من أعظم الاكتشافات العلمية في التاريخ؛ وبها تحولت حياة الإنسان جذريا؛ فتغير حتى سلوك البشر اليومي، كما تغير نظامه الغذائي من خلال الطبخ والطهي.

❏ يقول القطب اطفيش: «كم من لفظ أدخلوا في اللغة والتفسير بمعنى اللازم، وأوهموا أنه موضوع في اللغة» ومثل لذلك بمعنى السفر للمقوين، فهو لازم المعنى وليس بالمعنى.

❏ أقل درجة حرارة ممكنة أي أبرد برودة ممكنة فيزيائيا، تبلغ ما يُسمّى «الصفري المطلق»، وهو يساوي 273,15 درجة مئوية؛ أمّا أكبر درجة حرارة ممكنة، حسب نظريات الفيزياء، فهي 142 نونيليون كلفن (النيولينون = 10^{32}) أي 142 أمامه اثنان وثلاثون صفرا؛ وتسمى درجة حرارة بلانك.

❏ في فوائد النار قدم الله تعالى التذكرة على المتاع؛ لأنّ أمر الآخرة أهمُّ وأولى من أمر الدنيا.

من الفكر إلى الفعل

❖ قال النبي ﷺ: «ناركم هذه التي توقدون جزء واحد من سبعين جزءاً من حَرِّ جهنم».

❖ قال رسول الله ﷺ: «المسلمون شركاء في ثلاث: ...». وقد ورد الحديث بلفظ «الناس» وأحسب أن المعنى يستقيم أفضل لأن خير الدنيا و موارد الأرض منحها الله تعالى للخلق كافة بدون تمييز بين مسلم و كافر، عكس خير الآخرة الذي هو خالص للمؤمنين المتقين، «... في الماء، والكأ، والنار»، مما هو عام، أمأ ما اختصَّ بصاحبه، وكان ضمن حيازته، فذلك له دون غيره، ولينفق منه طلباً للأجر.

❖ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار».

❖ اللهم أدخلني الجنة، وأجرني من النار، يا عزيز يا غفار.



قال الله تعالى:

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

بذور المعنى

- ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: تكررَت الآية مرتين: مرّة بعد عرض نعم الله تعالى على الإنسان: نعمة الخلق، والزرع، والماء، والنار؛ ومرّة في ختام السورة، بعد إعادة تلخيص مصير الأزواج الثلاثة: المقربين، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال.
- ﴿سُبْحَانَ﴾: هي كلمة تقال للتقديس والتنزيه والتعظيم، ولا تقال إلا لله **جَلَّ جَلَالُهُ**؛ ومعناها أنزّه الله عن كلّ سوء ونقيصة وصفة لا تليق بمقامه وقدره.
- معنى ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ أي سبّح الله تعالى مُستعينا

بذكر اسمه، أو نزه اسم ربك من أن تذكر له شريكاً، أو تنفي عنه البعث؛ فعل المكذبين الضالين.

❏ ومن معاني الباء في «باسم» رغم جواز أن يقال ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾؛ أن تكون للابتداء به: أي فسبح ربك مبتدئاً باسمه؛ ومعلوم أن كل عمل يعمله المسلم وجب أن يبدأ فيه بسم الله، قال رسول الله ﷺ: «كلُّ أمرٍ ذي بال لا يبدأ باسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتَر».

❏ ﴿الْعَظِيمِ﴾: هو صفة لله تعالى، وهو اسم من أسمائه الحسنی، التي أمرنا أن ندعوه بها. وفي آية الكرسي: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

❏ ولم يعظّم شيء في القرآن الكريم إلا ما نُسب لله تعالى؛ فإن هو مما عظّم في الخير فهو مما يرضي الله سبحانه، وإن هو مما عظّم في الشر فهو مما يُسخطه جَلَّ جَلَالُهُ.

❏ وفي الآيات الموالية: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾، وفي آيات سابقة: ﴿وَكَأَنَّا يُبْرِونَ عَلَى الْخَنثِ الْعَظِيمِ﴾.



التشغيل والتفعيل

❏ كما يقول الواحد: الله عظيم، يقول اسم الله عظيم. فالقاعدة الأصولية أن «تنزيه الاسم تنزيهً للمسمّى من

باب أولى»، ولذا قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾. من باب التوافق بين سورتي الرحمن والواقعة أنه في الرحمن تكرر: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ مرتين: مرة في وسط السورة ومرة في آخرها؛ وفي الواقعة تكرر ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ مرتين: مرة في الوسط، ومرة في آخرها.



• من الفكر إلى الفعل

• لَمَّا نزلت «فسبح باسم ربك العظيم» قال ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم».

• ولما نزلت «سبح اسم ربك الأعلى» في سورة الأعلى، قال ﷺ: «اجعلوها في سجودكم».

• في الركوع يقول المصلي: «سبحان ربي العظيم» ثلاثاً كما فعل رسول الله ﷺ؛ والخلاف فيما إذا سَبَّحَ بغيرها، مثل: «سبحان ربي الأعلى»؛ والمتفق عليه أنه لا يجوز أن يخالف السنة قصداً، أما الخطأ فيجبر بسجود السهو. وأما مخالفة السنة قصداً فتنقض الصلاة.

• قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».



قال الله تعالى:

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ
لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾

بذور المعنى

❖ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾: ذكر المفسرون أن «لا» هي للصلة وهي للتأكيد، وصيغة القسم الذي يدخل عليه حرف «لا» مستعملة عند العرب لتوكيد الحلف والقسم. والمراد ليس نفس القسم، وإنما تأكيد والمقسم به؛ وهو نظير قولك: لا تسأل عن كذا، تريد تعظيم الأمر لا النهي عن السؤال.

❖ أو أن المقسم به واضح لا يحتاج إلى دليل؛ بمعنى: لو كنت مقسماً لأقسمت بكذا. ومثاله في القرآن الكريم كثير، بخاصة في قصار السور: ﴿لَا أُقْسِمُ بِبَدَا الْبَدْرِ﴾،

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ .

﴿يَمَوْقِعَ النُّجُومِ﴾ : هي منازلها التي تسير فيها، فلم يقسم الله تعالى بذات النجوم فقط، بل زاد عليها ﴿يَمَوْقِعَ النُّجُومِ﴾؛ وهو سبحانه عليماً بها، أمّا البشر فلا يزالون يحاولون اكتشاف القليل من مظاهرها.

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعَلَّمُونَ عَظِيمٌ﴾ : جملة معترضة تبين شأن القسم وعظمته، و﴿لَوَّتَّعَلَّمُونَ﴾ كذلك جملة معترضة وسط الآية؛ وفي ذلك القسم، لو تعلمون، دليل على عظيم قدرة الله تعالى وحكمته، وعلى جهلنا بحقيقة الكون الفسيح، وحقيقة القرآن الكريم؛ وبالتالي جهلنا بقدر الله سبحانه.

ولا ريب أن حجم الكون، ومواقع النجوم، والأفلاك الخارجية، وحركة المجرات... كل ذلك لا يعلم منه الإنسان إلا القليل: ﴿لَوَّتَّعَلَّمُونَ﴾ .

جملة من الآيات في كلام الله الحكيم، تختنق الأنفاس عند عتبة فهمها، والتفكر فيها، لهولها وعظمتها، ولعجز العقل والقلب معا عن إدراك مدلولها، فلا يملك المسلم إلا أن يلوذ بمقام العجز والتسليم حيالها؛ ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعَلَّمُونَ عَظِيمٌ﴾ ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ ، ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ﴾ ...

❖ ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾: المقسّم به مواقع النجوم، والمقسّم عليه كون القرآن نزل منجّماً؛ ووصف القرآن بأنه كريمٌ يعني أنه يكرم ضيفه وقارئه وصاحبه، ولا يبخل عليه؛ ويكرم الناس جميعاً بالعلم الغزير، فعطاء القرآن لا ينتهي، وفيضه لا ينضب إلى يوم الدين؛ فكلما تبحت فيه اكتشفت وتعلمت؛ وهو لا يكرم أحداً دون أحدٍ؛ وإنما يكرم الجميع حسب ملكاتهم، واستعداداتهم، ونواياهم، واجتهادهم.

❖ ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾: المكنون هو المصون والمحفوظ والمستور، والمخفي الذي لا تصل إليه الأيدي؛ وقيل عن القرآن إنه مُصان في اللوح المحفوظ، أو هو محفوظ في صدور الرجال.

❖ وقد يكون المعنى هو مَصون من تلاعب المتلاعبين، ومصون من أن يناله أحد بسوء، أو يُنقص من قدره، حتى ولو حاول ذلك الكفارُ والظالمون.

❖ وهو كذلك مَصون من خزعبلات دعاة نزع القداسة من القرآن الكريم، مكنونٌ من كلِّ دعيٍّ على العلم، جائرٍ ووقح في حقِّ الله تعالى.

❖ ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾: المسُّ الحسيُّ، والمسُّ المعنويُّ؛ قال رسول الله ﷺ: «لا يمسُّ القرآنُ إِلَّا طاهرٌ»، فلم يُجز بعض الفقهاء لغير الطاهر، أي للجُنُب والحائض

مَسَّ القرآن؛ بينما أجازَه البعض، فاعتبر مَسَّ المصحف جائزاً للموحِّد الحائض والجنب والنفساء؛ وفهم ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ طهارة معنوية أي من الشرك؛ واللام نافية لا ناهية.

❏ وذهب بعضٌ إلى اشتراط الوضوء لمسِّ المصحف، وهو مبالغة في تعظيم كلام الله تعالى، وفيه عنت ومشقة على الناس.

❏ وقد يكون مَسُّه هو تفسيره والعمل به، فلا يفسِّره ولا يعمل به - على سبيل الهداية، أي لا يهدى إلى ذلك - إلا من طهَّر الله قلبه من النفاق والشرك والخبائث، وطهَّر عقله من الشك والإلحاد والغرور، وطهَّر لسانه من الفُحش واللغو، وطهَّر جوارحه من المعاصي والمنكرات.



التشغيل والتفعيل

❏ يتورَّع العلماء ولا يقولون في ﴿لَا أُقِيمُ﴾ اللام زائدة، يقول الشيخ بيوض: «واحفظوا هذه النكتة، واعقلوها، وشدُّوا عليها أيديكم. فلا يقولنَّ أحد في شيء من كلام الله: هذا زائد... تأدبا مع الله، وتأدبا مع كلام الله». إلا أن أغلب المفسِّرين ومنهم الزمخشري والقطب

اطفيش، قالوا: «لا» زائدة أو مزيدة؛ ولا ريب أنهم لم يقصدوا عدم التأدّب مع الله سبحانه، ذلك أنّ معنى «زائدة» هو للتقوية والتأكيد، ولا يعني أنه يمكن الاستغناء عنها. ولكلّ عالم زاوية نظر تُحترم.

❏ إنّ خالق ﴿بِمَوْجِعِ النُّجُومِ﴾ هو الله تعالى، والمقسم بها هو الله تعالى، والمعظمّ لشأنها هو الله تعالى؛ وقصورنا عن إدراك عظمتها مرآة لقصورنا عن إدراك منتهى بلاغة القرآن الكريم المقسم به. فمن عرف قدر الله سبحانه آمن واعترف، ومن جحده أنكر وظلم وأعرض، فلا يفيدُه القسم، ولا المقسم به، ولا المقسم عليه.

❏ هل توصلنا الى ما يكفي من العلم لفهم علم ﴿بِمَوْجِعِ النُّجُومِ﴾؟ لا يزال العلم في بداية الطريق في هذا المجال، وحجم المعلومات التي تم جمعها لا يكفي - حسب رأي العلماء - للوصول الى نتائج ذات دلالة؛ ولهذا قامت وكالة الفضاء الأوروبية بإطلاق المسبار «جايا» في ديسمبر من عام 2013، في مهمة لمدة 5 سنوات؛ لرصد مواقع مليار نجم من كافة أنحاء المجرة، وبناء نموذج ثلاثي الأبعاد، وذلك برصد حركتها واتجاهها.

❏ وتبقى أزمة العالم أنّ الذي يتلو القرآن ويؤمن بالله بعيدٌ عن هذا المستوى من البحث الفلكي العلمي الكوني، والذي يبحث ويفني العمر في الدراسة بعيداً

عن هداية الله تعالى، معرض عن الاعتراف له سبحانه بالخلق وبالفضل.

❏ يقول الإمام الرازي: «وأما مواقع نجوم القرآن، فهي قلوب عباده وملائكته ورسله وصالحي المؤمنين، أو معانيها وأحكامها التي وردت فيها».

❏ حين انتهيت إلى بيان معاني هذه الآيات، تملّكني شدّه والخوف والوجل، ثم سألت نفسي: مَنْ أكون حتى يؤكد لي ربي هذا القسم بهذه الصيغة المنزلّة؟ ثم من يكون العالمون جميعاً ليقسم الله تعالى لهم بهذه القسم العظيم الخطير، الذي وصفه بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَلْمُونَ عَظِيمٌ﴾؟



• من الفكر إلى الفعل

• تعظيم مواقع النجوم، والقسم بها، أمرٌ من الله تعالى لعباده أن يبحثوا فيها، ويدرسوها، وينشئوا مراكز للاستكشاف: فلم أقدم على ذلك غير المسلمين، وأعرض عنه المسلمون، الذين يتلون كتاب الله؟ هذا سرٌّ حضاري يحتاج إلى دراسة واهتمام للخروج من الأزمة.

• من الأدب أن لا تقلب أوراق القرآن بالبزاق؛ ولا يوضع المصحف أسفل غيره من الكتب، رأى سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مصحفاً بيد رجل، فقال: من كتبه؟ فقال: أنا. فضربه بالدرّة، وقال: «عظّموا القرآن».

• للمطالعة: «مواقع النجوم ومطالع الأسرار والعلوم» لمحبي الدين ابن عربي؛ في العناية، والهداية، والولاية...



قال الله تعالى:

تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾
وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

بذور المعنى

- ❖ ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : هذا القرآن الكريم لو وعيتم تمام الوعي، ولو علمتم حق العلم، هو تنزيل من رب العالمين، وهو «هدى ورحمة للعالمين»؛ هو كتاب كريم، فيه كل ما يسع الناس دنيا وآخره، وفيه عطاء سخّي لهم جميعاً؛ نزل عليهم من المقام الأعلى.
- ❖ ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ : من معاني أدهن تهاون به وأصله التليين بالشيء، استعير للتهاون، لأن صاحبه لا يتصلب فيه؛ ومن معانيه أظهر خلاف ما أضمر بقصد الخداش والغش: ﴿ وَدُوا لَوْ نُذِهْنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ .

❖ والاستفهام ﴿أَفِيهِدَا...﴾ استفهام إنكاريٌّ أنكم بهذا القرآن الكريم، المنزَّل من رب العالمين، تتهاونون، وتخدعون، وتغشُّون، وتشكُّون، وتقابلونه باللامبالاة وبالخفة، ولا تحملونه محمل الجدِّ.

❖ ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾: أي تجعلون نصيبكم من الحياة أنكم تكذبون بهذا الحديث، وبهذا القرآن، وبما جاء به من الحقِّ من عند ربِّ العالمين. فهم قد وضعوا التكذيب موضع الشكر.

❖ ومن معاني الرزق: الحظ من الخير؛ فحظُّهم من الرزق هو أسوء الحظوظ، وهو التكذيب والنكران.

❖ وقد يكون من معاني الآية أنهم يكذبون لينالوا رزقا وحظوة عند أوليائهم أو عند السلطان: ﴿أَشْتَرُوا بِعَائِنَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، فعل أهل الكتاب مع كتبهم، وفعل مشركي مكة مع وحي الله سبحانه، وفعل الكثير من المسلمين الذي هجروا كتاب ربهم، واتخذوه بضاعة بخسة، وقبضوا به ثمنا زهيدا.



التشغيل والتفعيل

❖ ورد لفظ ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، أغلبه كان عن القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي

لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾ ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾؛ أو عن محمد ﷺ الذي أنزل عليه القرآن ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .، أو عن موطن نزول القرآن الكريم مكة المكرمة: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ . ذلك أن القرآن نعمة ورحمة، وهداية ورسالة، لجميع خلق الله تعالى، وللمكلفين بخاصة، من الإنس والجن وهم العالمون.

❖ قوله تعالى: ﴿ أَفِيهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾: هو تهديدٌ ووعيدٌ عامٌ ليس خاصًا بمشركي مكَّة، أو بالكفار في عهد نزول القرآن؛ وإنما هو تقرُّعٌ لجميع من تهاون وفرط في حقِّ كتاب الله تعالى، إلى يوم الدين؛ وفيه دعوة لكلِّ إنسان، ولكلِّ مسلم، أن يسأل نفسه: ما علاقتي بكتاب ربي؟ وهل وفَّيته حقه، أم أنني اتخذته ورائي مهجورًا؟

❖ ولا ريب أنه لا يدَّعي أحد من الناس أنه بلغ حدَّ الوفاء بكتاب الله كما أمر الله تعالى، فكل الناس مقصَّر، والتفاوت في الدرجات؛ ولكن شتان بين تقصير مع جُهد ومجاهدة، وتقصير مع هُجر وبرودة.



• من الفكر إلى الفعل

• اختلف الفقهاء في إخراج الزكاة لتحفيظ القرآن، ولقد اختار البعض الحرمة، واختار آخرون الجواز بشروط.

• قال الموسعون: «وبعد، فإنه يجوز صرف الزكاة لدور تحفيظ القرآن، والمؤسسات التعليمية، وكل ما من شأنه نشر العلم النافع والدعوة إلى الله تعالى» أما ما ينفق منه للبناء في هذا الشأن وغيره، فلا يجوز؛ وإنما يخرج للأجور، وللتنظيم والإدارة، دون البناء.

• سؤالي لنفسي مطلع كل يوم: كم تلوت من كلام ربي؟ وما الذي فهمت مما تلوت؟ ثم ما الذي عملت به؟ وماذا أنزلت من الآيات إلى واقع الحياة؟ وما الذي تركته هنالك في عالم التنظير والكلام بلا تفعيل؟



قال الله تعالى:

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾

بذور المعنى

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾: كيف تواجهون حقيقة أن روحكم ستبلغ الحلقوم، وسيأتيكم الموت ولا تقدرّون على رده. والضمير في «بلغت» للروح، رغم أنه غير مذكور من قبل وليس له عائد، إلا أنه معلوم للجميع ولا خلاف فيه.

﴿لَوْلَا﴾: هي من كلمات التحضيض، ومعناها: هلاً؛ بمعنى لم لا يقولون ما قالوه من باطل عن كتاب الله تعالى حين حضور الموت؟ إذ كلُّ نفس إذا رأت علامات الموت آمنت، ولكن لا ينفعها إيمانها، قال

تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلَ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا حَرِيرًا﴾ .

❖ والحلقوم هو: التجويف الذي في الفم وفيه فتحات؛ والروح لعلها تخرج من فتحة الهواء لا من فتحة الطعام، لتلازم الهواء والحياة: وفي الآية الكريمة: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾؛ ولكن، قد يكون خروجها بشكل آخر ومن مكان آخر أو من لا مكان، وأن هذه كناية عن الموت لا حقيقة.

❖ ولعل الصواب أن يعبر عن فتحة الهواء بالحلقوم، وعن فتحة الطعام والشراب بالحلق.

❖ ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾: سواء الذي تخرج روحه وهو ينظر، ولا يقدر على شيء، ولا يملك ردها؛ أو أهل المحتضر، يرونه ويتألمون، وينظرون إلى المشهد ولا حيلة لهم. هذا غالب في حياة الناس، وحين حضور الموت.

❖ ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُرُونَ﴾: الله تعالى في لحظة الحشرجة والاحتضار، هو أقرب إلى نفس ذلك الذي تبلغ روحه حلقومه، هو قريب منه بالعلم، والإرادة، والرحمة... ولا يملك أحد أن يمنع عنه الموت، أو يهبه ساعة من زمان فوق ما قدر له، حتى الطبيب يشعر بمنتهى علمه وعجزه: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ .

❏ أو ﴿لَا بُصِيرُونَ﴾. الحقُّ وهو ماثلٌ أمام أعينكم، تنظرون إليه بأعينكم، ولا تعيه قلوبكم، ولا تلين به أفئدتكم.



التشغيل والتفعيل

❏ معية الله تعالى لخلقه هي حقيقةٌ بيّنة، وحقٌّ مُبين؛ ولكنَّ الإنسان لا يدركها ولا يبصرها بما أوتي من عقل وقلب، ومن سمع وبصر؛ وما ذلك إلاَّ لضعفه وقصوره؛ فذاته سبحانه ليست كالذوات الأخرى؛ سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

❏ عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يَغْرُغْ»، وفي تفسير ﴿قَرِيبٍ﴾. قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾. ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت؛ وعن الضحاك: ما كان دون الموت فهو قريبٌ.»



• من الفكر إلى الفعل

- قال النبي ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». فقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: إنا لنكره الموت؟ قال: «ليس ذلك، ولكنَّ المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه».
- وفي رواية: «وإنَّ الكافر إذا حضر بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه».
- يقول المؤمن حين الاحتضار: «لا إله إلا الله».
- ففي حديث احتضار عم رسول الله ﷺ أبي طالب قال له: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أُنْفَع [أدفع] عنك بها يوم القيامة».
- لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ.



قال الله تعالى:

فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾

بذور المعنى

- ❖ ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: المدين هو من عليه دينٌ وكانت ذمته مشغولة، والمدين بالحياة لأحد إذا صار مرتها له لأنه أنقذ حياته، والمدين مقهورٌ لا إرادة له ولا يقدر على شيء حيال من استدان منه؛ والله تعالى هو واهبُ الحياة، وهو مبقياها، وهو الذي ينزعها إذا شاء.
- ❖ والمعنى لو لم تكونوا مدينين ومربوبين لله سبحانه فإنكم سترجعون الروح إلى صاحبها، وتعيدوه إلى الحياة ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أي إن كنتم صادقين في ادعائكم أن الله تعالى لم يخلق الخلق، وأن البعث

ليس حاصلًا، وأنَّ شيئًا في الكون يمكن أن يكون خارج إرادة الله **جَلَّ جَلَالُهُ**، وخارج تقديره.

❖ والإنسان يتمرد ويوحي لنفسه أنه قادرٌ على كل شيء، وما هو بشيءٍ أمام عظمة الله سبحانه، وأمام قوته وجبروته، ولذا وجبَ أن نردد ما تعلمناه في الآيات السابقة، ونحن نتلوا هذه المعاني: «سبحان ربي العظيم».



التشغيل والتفعيل

❖ الكون المطلق والكون المرصود: تفترض النظريات الكوسمولوجية وجود «كون كُليّ / مطلق» أكبر بكثير من الكون «المرصود»... ولا يوجد دليل يشير إلى أنَّ حدود الكون المرصود هي حدود الكون بأكمله، ولا يوجد أصلًا أية نماذج كونية سائدة تقترح وجود حدود فيزيائية للكون.

❖ فحجم الإنسان، وعلم الإنسان، وحدود قدرة الإنسان، مقارنة بهذه الأحجام الكبيرة للكون، هي أقرب من العدم، ومن لا شيء؛ فكيف لا يكون مَدِينَا للذي خلقها، وحفظها، وإذا شاء أنهاها: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛

ومع ذلك لا يصدّقون، ولا يستسلمون للواحد الآخر
الفرد الصمد.



• من الفكر إلى الفعل

• بات لزاماً أن ترتبط علوم الكون والفلك بعلوم التفسير والتوحيد، بل كل العلوم الكونية والتجريبية والإنسانية؛ والانفصامُ بينها أحدث خلافاً كبيراً في حركة الحياة البشرية؛ وحوّل العلم إلى عدو للإيمان، والإيمان إلى طلاسمة بعيدة عن العلم. وأول مصدر جمع بين هذه الجزر المعرفية هو كتاب الله الكريم.

• من اعتقد أنه مملوك للمالك الأحد، انعتق من كل عبودية إلى سواه؛ ومن تكبر عن أن يكون عبداً مملوكاً لله، أذله الله بعبودية من سواه: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾؟

• للقراءة «موجز تاريخ الزمان، من الانفجار العظيم إلى الأكوان الطفلة»، ستيفن هاوكينغ.



قال الله تعالى:

فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ
وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾

بذور المعنى

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾: الفاء متعلّقة بمحذوف، أي: فالإنسان المتوفى، الذي لا تقدر على رده إلى بحر الحياة؛ سيتوزع إلى ثلاثة أصناف، وهي الأصناف الذي ذكرت في أول السورة؛ وكأنَّ السورة مقسومة إلى: مصير يتلوه مسير ثم يختم بالمصير. والمقربون هم الفوج الأعلى، والأكثر رفعة، والأشرف مقامًا؛ وهم ﴿ وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ﴾؛ الذين وردت صفاتهم في أول السورة.

﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾: الروح مُستعار بها على الحياة، أي فحياة

جديدةٌ أبديةٌ؛ ليست هي الحياة في الدنيا، والتي تفتنى وتنتهي؛ وأصل الروح: السعة. ومن معاني الروح كذلك الرحمة، أي فلهؤلاء الرحمة من الرحمن الرحيم: ﴿وَلَا تَأْتِسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ أي من رحمته.

❏ ﴿وَرِيحَانٌ﴾ وقد ورد لفظ الريحان في سورة الرحمن، بمعنى «النبات الطيب الرائحة»، ومن معانيه «الرزق، والاستراحة» وهو لازم المعنى.

❏ ﴿وَجَنَّاتٌ نَعِيمٍ﴾: من معاني النعيم حسنُ الحال، وراحة البال، وما يُتَلذَّذُ به في الدُّنيا من الصَّحة والفراغ والأمن، والمطعم والمشرب. واستعير بها للجنة، فقيل: جنةٌ نعيم، أو النعيم علمٌ على الجنة العليا، وعلى الفردوس السماوي؛ وهو جزاء السابقين المقربين، ولذا سأل سيدنا إبراهيم ربه سبحانه فقال: ﴿وَلَجِّعَلَنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾.



التشغيل والتفعيل

❏ ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٌ نَعِيمٍ﴾ و﴿جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾؟ وما الفرق بين ﴿جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ و«الفردوس الأعلى»؟ وردت تعريفات، وحاول البعض التفريق بينها؛ ولكن ما قرأناه لم يشف الغليل، ولم يمنح

الجواب الفصل . المسألة للبحث .

❏ قيل «الروح راحة عند الموت، والريحان راحة في الجنة بعد الموت».

❏ جوزي المقرَّبون بثلاثة: رُوح، وريحان، وجنة نعيم؛ ذلك لأنهم أتوا أموراً ثلاثة: توحيداً خالصاً، وكلمة طيبة، وعملٌ صالح.

❏ ورد في الأثر: «من الناس من يُدفن في مقابر الكفار ويحشر مع المسلمين، ومنهم من يُدفن في مقابر المسلمين ويحشر مع الكفار»؛ والعبرة بحقيقة التوحيد الخالص عند الخالق، لا بمظاهر الناس أمام الخلق.



• من الفكر إلى الفعل

- في الحديث الموقوف: «اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل. اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشرِّ كله ما علمت وما لم أعلم».
- «متى ألمك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك، فارجع إلى علم الله فيك، فإن كان لا يُقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشدُّ من مصيبتك من الأذى منهم».
- وقرأ: «الحكم العطائية» لابن عطاء الله السكندري. و«شرح الحكم العطائية» لمحمد سعيد رمضان البوطي رَحِمَهُ اللهُ.



قال الله تعالى:

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ
أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾

بذور المعنى

❏ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: أصحابُ اليمين هم الفئة الثانية التي فصل القول فيها في السورة؛ وهم أنفسهم أصحاب الميمنة؛ وقد تقدم علو مقامهم، وجميل السعادة التي يرفلون فيها في الجنة خالدين.

❏ ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: وهؤلاء يتلقاهم إخوانهم الذين سبقوهم في صف الإيمان بالسلام: سلام لكم. أو الملائكة هم الذين يسلمون عليهم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾. أو السلام من رب العالمين، رب العزة سبحانه، وهو أعظم سلام:

﴿ سَلِّمٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ .

❑ قيل تأتي الملائكة - عند تمام الحساب - الواحد من أصحاب اليمين، وتخبره أنه من أصحاب اليمين، فيكون ذلك له سلاما وبشارةً.



التشغيل والتفعيل

❑ في بيان مقام السابقين المقربين، كان السلام مكررا: ﴿ سَلِّمًا سَلِّمًا ﴾، وفي حق أصحاب اليمين، جاء السلام مفردا: ﴿ فَسَلِّمُ لَكَ ﴾، هل بين الصيغتين فرقٌ في المعنى والمؤدَّى؟

❑ قيل السلام من أصحاب اليمين للرسول ﷺ تسليَةً له، وإخبارا بأنه قبلت شفاعته فيهم.

❑ قيل السلام عليكم تحية، والسلام لكم دعاء. أو السلام لكم إخبار عن حالهم في الجنة.



• من الفكر إلى الفعل

• قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّبْتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ .
 • قال ﷺ: « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، ألا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» .
 • لنجتهد حتى نكون من المقربين، فإن لم نقدر فلنكن من أصحاب اليمين؛ وإذا سألنا الله تعالى فلنسأله الفردوس الأعلى .



قال الله تعالى:

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزِّلْ مِنْ
حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾

بذور المعنى

- ❑ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾: هؤلاء الذين ماتوا وهم مكذبون، وهم ضالون؛ أي جمعوا إلى التكذيب الضلال؛ أعدَّ الله تعالى لهم جهنم مأوى ومقاما ونُزلا.
- ❑ ﴿فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ﴾: النزول هو ما يعدُّ للضيف، وقد بين تعالى لهم منزلهم هذا في قوله: ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾؛ ولقد سبق بيان أن هؤلاء الأشقياء من أصحاب الشمال ﴿فِي سَمُورٍ وَحَمِيمٍ﴾؛ وهنا تأكيد لما ذكر من قبل، والتأكيد في مقام العذاب يزيدهم عذابا فوق العذاب.
- ❑ ﴿وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ﴾: وجزاؤهم أنهم يُدخلون جحيما ونارا

تتوقد وتستعر، وسيقيمون فيها أبد الدهر: ﴿حٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾. وهو تقرّيع لمن أراد أن يذكّر أو أراد أن يتوب إلى الله تعالى من معاصيه، ويعود عن تكذيبه، ويقلع عن ضلاله؛ قبل أن ينزل الموت فلا يستطيع له ردًّا: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ﴾، و﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.



التشغيل والتفعل

❏ في وصف أصحاب اليمين لم تذكر الآية صفاتهم، وأنهم من المصدقين المؤمنين؛ أمّا في وصف أصحاب الشمال، فكان الوصف بديلا عن الذات: ﴿الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾، إمعانا في التقرّيع والتشنيع، وأنهم إنما كانوا من أصحاب الشؤم والعذاب، بسبب تكذيبهم، وضلالهم.

❏ روى ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دويّة مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى

أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده». وفي حديث النعمان بن بشير زيادة: «ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح».



• من الفكر إلى الفعل

• المبادرة بالتوبة خير عاصم من الهلاك، ومن أن يكون المرء من أصحاب الشمال، قال رسول الله ﷺ: «يُدُّ اللهُ بِسُطَّانٍ لِمَسِيءِ اللَّيْلِ لِيَتُوبَ بِالنَّهَارِ، وَلِمَسِيءِ النَّهَارِ لِيَتُوبَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

• من طيب نُزُلَهُ فِي الدُّنْيَا طَيَّبَ اللهُ نَزْلَهُ يَوْمَ الْجَزَاءِ الْأَوْفَى.



قال الله تعالى:

إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

بذور المعنى

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾: أي جميع ما ورد في السورة، أو كون دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يبلغ بالناس مرتبة حق اليقين؛ وهي أعلى مرتبة من مراتب العلم: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين. وذلك بمعاينة ما علموه وتحققوه معاينة حقيقية. وهذا الذي ذكر هو الحق الذي لا مرأى فيه، والعلم الذي لا شك يعتريه.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: إذا علمتم هذا علم اليقين، وأدركموه حق اليقين، فعليكم بالتسبيح لله تعالى. والتسبيح

باسم الله تعالى تنزيهًا وتعظيمًا. ولقد سبق قوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ عند تمام ذكر نعم الله تعالى على العباد: نعمة الخلق، ثم الزرع، ثم الماء، ثم النار. روي أن الأمر بالتسبيح في هذه الآية أمرٌ بالصلاة، أي فصلٌ لربك العظيم.

والأمر بالتسبيح للرسول ﷺ ولكل من هو أهل لأمر الله تعالى، وأهل لأن يستجيب له ويسبح؛ وسيأتي التسبيح على لسان الكون كله، في بداية سورة الحديد الموالية: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. وكذا في استهلال سور أخرى مثل الحشر والجمعة.

التشغيل والتفعيل

ختمت سورة الرحمن بـ ﴿نَبِّذْكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وختمت سورة الواقعة بـ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾؛ فتبارك الله، وسبحان الله، كما أمر ربنا، وكما يرضيه.

الله تعالى موصوفٌ بكل كمال، منزه عن كل نقص؛ والتسبيح اعترافٌ بالكمال وتنزيه عن النقص؛ وهو من أعظم الذكر وأكثره أجرا ومثوبة عند الله تعالى.

تسمى «سورة الواقعة» سورة الغنى، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما مرض مرضه الذي توفي فيه، فعاده عثمان

بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال ألا أمر لك بطيب؟ قال: الطيب أمرضني، قال: ألا أمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه! قال: يكون لبناتك من بعدك؟ قال: أتخشى على بناتي الفقير؟ إني أمرت بناتي يقرأن كلَّ ليلة سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كلَّ ليلة، لم تصبه فاقة أبدًا».

❖ وقفة مع معنى هذا الحديث: الربط بين معنى الحديث واتخاذ الأسباب ضروري، وإلا أصبح القرآن الكريم ذريعة للتواكل المذموم، فالله تعالى يأمرنا باتخاذ الأسباب، والتوكل عليه، فهل يمكن أن يجلس أحد في بيته بدون بذل العمل واتخاذ الوسائل، ويكتفي بقراءة سورة الواقعة فيسلم من كل فاقة؟

❖ ما بين استهلال السورة بـ ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ وختامها بـ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ مناسبة، وهي أن النجاة عند الواقعة لا تكون إلا بأن تسبِّح باسم ربك، وتعترف له بالعظمة والكبرياء، وتصفه بالكمالات، وتنزهه عن النقائص. سبحانه، اللهم نجنا يا حليم.



• من الفكر إلى الفعل

• عن النبي ﷺ: من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة.

• عن سيدنا يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ حين التَّقْمِه الحوت، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. فعلى كل من وقع في ورطة، أو كان في حرج، أو سعى لحاجة، أو اشتكى فقرا، أن يكثر من التسبيح، فيخرجه الله سبحانه من بطن الحوت، ومن ضيق حاله وعسره، وينشر عليه رحمته وفضله.

• طالع: «بوبال: مذكرات هارب من الموت، ناج من بطن الحوت»، رواية، لمحمد بابا عمي.



